

عوامل نشأة الفرق الإسلامية
وتسمياتها وألقابها
من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني

تأليف فرحات بن علي الجعفيري

عوامل نشأة الفرق الإسلامية
وتسمياتها وألقابها
من خلال كتاب الملل والنحل للشَّهرستاني

تأليف فرحات بن علي الجعبري

تقديم

الأستاذ محمد الطالبي

E.I. : Encyclopédie de l'Islam.
E.h. : ancienne éd. / E.n. : nouvelle éd.

الرموز

ت : قبل التاريخ : توفي (ت 93 هـ).

/ : العدد على يمين الخط : تاريخ هجري. وعلى يساره :
تاريخ ميلادي. مثال 1408/1987.

/ : الرقم قبله يشير إلى الجزء أو المجلد، وما بعده إلى
الصفحة.

= : التعليق يتواصل في الصفحة الموالية.

البارونية : المكتبة البارونية بجزيرة حومة الحشان.

ج : جزء.

خ : مخطوط.

المعجم المفهرس : أي لألفاظ الحديث : لونسناك.

ر : راجع.

ص : صفحة.

ط : طبعة.

م : مجلد.

E.I. : Encyclopédie de l'Islam.

E.I₁. ancienne ed. E.I₂ nouvelle ed.

بسم الله الرحمن الرحيم
والصلاة والسلام على أشرف المرسلين

المقدمة

إنّ الكتابة في قضية الفرق الإسلامية ليست هينة، ولا يتصور أن تدريسها أهون، ولكن ليس معنى هذا أن نستسلم لأنّ الجلوس على الربوة أسلم.

لذلك ما فتئ فرع الحضارة في أقسام الآداب العربية بالجامعة التونسية يثير قضية الفرق الإسلامية إيمانا منه ومن جميع المشرفين عليه أنّه آن الآوان أن نقرأ النصوص العريقة والحديثة في هذا الشأن قراءة جديدة تعمل على فهم كل فرقة من داخل منظومتها، ومثل هذه القراءة من شأنها أن تناقش الكتابات الشّمولية في هذا الشأن، تلك القراءات التي لم تتمكّن في زمانها لأسباب موضوعيّة أن توفر بين يديها نصوص جميع الفرق، ولعدم توفر هذه النصوص ظلّ بعضها يأخذ عن بعض على أساس أنّ المتأخّر يثق في الأوّل، واستمرّ الأمر على هذه الحال إلى اليوم في بعض الدراسات

التي تكتفي بالنقل عن الأقدمين على أن جميع ما ورد عندهم يكاد يكون مقدّساً، ولم لا نقول مقدّساً عند بعضهم.

في هذا الإطار فكر أساتذة قسم العربية بكلية الآداب بالقيروان جامعة الوسط في آخر سنة 1987 أن يدرّسوا مسألة وسموها بـ « نشأة الفرق الإسلامية من خلال كتاب الملل والنحل للشهرستاني ».

وكان من نصيبنا تدريس هذه القضية درساً مدمجاً لطلبة السنة الأولى إجازة عربية بتعاون مع زملاء من أهل الاختصاص، وبهذا تمخّضت الثّواة الأولى لهذا البحث.

وقد تراءى لنا من ذلك الحين أن الشهرستاني كغيره من المؤلفين في الفرق الإسلامية أبدع في مواطن، وزلّت قدمه في مواطن أخرى، شأنه في ذلك شأن كلّ باحث يصيب ويخطئ لأنّ الكمال لله تعالى ولأنبيائه ورسله المعصومين.

ثم ازدادت ملاحظتنا تبلورا عندما أتاحت الفرصة أن ننطلق من هذه الملاحظات التي عايشناها مع الزّملاء والطلّبة سنتين جامعتين (87-89) كما هو الشأن مع كل المسائل في الجامعة التونسية لإلقاء سلسلة من المحاضرات على طلبة

معهد القضاء الشرعي والخطابة والوعظ والإرشاد التابع لوزارة العدل والأوقاف بسلطنة عمان سنة 1991، ثم على طلبة كلية التربية والعلوم الإسلامية ومن ينضم إليهم من بقية الكليات بجامعة السلطان قابوس سنة 1992، مع الملاحظ أن هذه المحاضرات مسجلة على المسموع والمرئي وكان يحضرها زملاؤنا مع طلبتهم.

ثم تمكنا من العودة إلى هذا العمل بشيء من التمهيد عندما ناقشنا نصوص الشهرستاني مع طلبة السنة الثالثة آداب عربية بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية جامعة تونس الأولى لسنة واحدة، سنة 1986-1987 وذلك ضمن درس موجه.

لا شك حينئذ أننا استفدنا مما أثير من نقاش مع طلبتنا ومن زملائنا فلهؤلاء جميعا وغيرهم ممن ناقشنا معهم القضايا المطروحة في هذا العمل المتواضع جزيل الشكر.

وبعد أن طرحنا قصة هذا البحث يحسن أن نشبت أننا وطأنا له بتعريف مختصر للشهرستاني يفي بالغرض في رأينا.

ثم أثّرنا قضية الافتراق دون تحليل كما جاءت في القرآن الكريم ثم في الحديث الشريف، ولا نخفي هنا اعتمادنا الكلي على عمل زميلنا عمر بن حمادي أستاذ التاريخ بكلية الآداب بمنوبة قسم التاريخ جامعة تونس الأولى، واختيار المرء جزء من كيانه كما يقال.

ثم قسمنا عملنا إلى مبحثين :

المبحث الأول : خصّصناه لعوامل نشأة الفرق الإسلامية، تلك العوامل التي كانت سياسية وأصولية واجتماعية وثقافية ومالية حتى لا نقول اقتصادية، وبيننا وعي الشّهريستاني الكامل بهذه العوامل وخاصة منها السياسية - الإمامة - والأصولية ولم لا نقول العقديّة.

المبحث الثاني : وقفنا فيه عند قضية شائكة تتعلّق بتسمية الفرق وألقابها، والفرق شاسع من النقيض إلى النقيض بين هذين المصطلحين النحويين فإن كان الأول يعنى الإعجاب أو على الأقلّ مجرد التمييز فإنّ الثاني أساسه الذم والتّقييح والتّنازع بالألقاب غالبا.

وانطلاقاً من نصوص الشَّهرستاني حاولنا أن ننصف كل فرقة من صفاتية إلى قدرية إلى شيعة إلى خوارج حسب عبارة الشهرستاني الأولى في تقسيم كبار الفرق الإسلامية، وهذا بالرجوع إلى كلام الشهرستاني نفسه أولاً وإلى منظومات هذه الفرق وما تختاره لنفسها من الأسماء ثانياً.

وفعلاً لو سمى أتباع الفرق الإسلامية بعضهم البعض بما تختاره كل فرقة من الأسماء واجتنبوا التنازع بالألقاب كما قال تعالى : ﴿ وَلَا تَلْزَمُوا أَنْفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا بِالْأَلْقَابِ بِئْسَ الْأَسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴾ [49 الحجرات 1] لجنبوا الباحثين عناء كبيراً، ولتمكّنوا من التقارب فيما بينهم يوماً بعد يوم إلى أن يصيروا كالبنيان المرصوص، وهذا ما سعيانا وسنسعى إلى تحقيقه إن شاء الله تعالى في هذا البحث، وفي غيره من أعمالنا التي نرجو أن تكون علمية موضوعية بقدر الإمكان، ولا ندعي في ذلك أننا أدركنا كبد الحقيقة، بل نحن في أمس الحاجة إلى ملاحظات العارفين في هذا الفن حتى نستفيد منها في مستقبل بحوثنا.

أما الخاتمة فقد عملنا على أن نحصي فيها مواطن
التوفيق عند الشَّهرستاني ومواطن الانزلاق - والميدان كلّهُ
مزلق - والله الموفق إلى الصَّواب نعم المولى ونعم النصير.

فرحات بن علي الجَّعفيري

تونس في 24 رجب 1420

03 نوفمبر 1999

توطئة

إن المتأمل في سيرة أبي الفتح* محمد بن عبد الكريم
ابن أبي بكر أحمد الشهرستاني (479-548/1086-1153)

* اسمه محمد بن عبد الكريم بن أحمد، وكنيته أبو الفتح، وشهرته
المعروف بها الشهرستاني، نسبة إلى بلدة « شهرستان » مسقط
رأسه ومثوى رفاته، وهي شهرستان خراسان، بين نيسابور
وخوارزم في آخر حدود خراسان، وهي التي بناها عبد الله بن
طاهر أمير خراسان في خلافة المأمون، وقد أخرجت خلقا كثيرا من
العلماء.

- أما مولده، فقد اختلف في تاريخه والراجح أنه ولد سنة 479هـ.
وتوفي في شعبان سنة 548هـ. الموافق 1076-1153م. وبذلك يكون قد
عاش قرابة السبعين سنة.

- والشهرستاني من حيث المذهب شافعي، ومن حيث الأصول
أشعري، كان إماما مبرزاً فقهياً متكلماً، واعظاً محاضراً. قال عنه
الخوارزمي في تاريخ خوارزم : « دخل خوارزم واتخذ بها داراً
وسكنها مدة، ثم تحول إلى خراسان، وكان عالماً حسناً، حسن الخط
واللفظ، لطيف المحاور، خفيف المحاضرة، طيب المعاشرة، تفقه
بنيسابور على أحمد الخوافي وأبي نصر القشيري، وقرأ الأصول
على أبي القاسم الأنصاري، وسمع الحديث على أبي الحسن علي بن
أحمد بن محمد المدائني وغيره..خرج من خوارزم سنة 510هـ. =

وحجّ في هذه السّنة، ثمّ أقام ببغداد ثلاث سنين، وكان له مجلس وعظ في النظاميّة [وهي أعلى المدارس ببغداد] وظهر له قبول عند العوام، وكان المدرّس بها يومئذ أسعد الميهني، وكان بينهما صحبة سألته بخوارزم، فقربه أسعد لذلك... وكان قد صنّف كتباً كثيرة في علم الكلام... ثمّ عاد إلى بلدة شهرستان فمات بها سنة 549 هـ — أو قريباً منها، ومولده سنة 469 هـ.

- وكان الشّهْرستاني مولعاً بطلب العلم، يطوف بالبلاد الإسلاميّة يتعلّم ويعلم، وبلغ من جلال مجالسه العلميّة أنّها كانت تدوّن وذلك لعمقها. ومن صفوة الشيوخ الذين كانوا يحضرون هذه المجالس : أبو الحسن بن حموية، والبيهقي، والإمام أبو منصور، وموفق الدّين أحمد اللّيثي، وشهاب الدّين الواعظ، وغيرهم من أئمّة الفقه والعلم.

- وبعد أن أورد المقدّمان نماذج من آراء النّقاد في الشّهْرستاني أوردنا ذكر مؤلفاته :

- 1- الإرشاد إلى عقائد العباد : ذكره الشّهْرستاني نفسه في كتابه « نهاية الإقدام ».
- 2- الأقطار في الأصول. نسبه إليه الخوارزمي.
- 3- تاريخ الحكماء. نسبه إليه (كيورتن) في مقدّمته لطبعته لكتاب « الملل والنحل ».
- 4- تلخيص الأقسام لمذاهب الأنام، نسبه إليه ابن خلّكان، وأبو الفداء، وحاجي خليفة.
- 5- دقائق الأوهام. نسبه إليه الخوارزمي.
- 6- شرح سورة يوسف بعبارة فلسفيّة لطيفة نسبه إليه الخوارزمي.
- 7- العيون والأنهار. نسبه إليه البيهقي. =

الأشعري الشافعي^(١) وفي مجموع مؤلفاته يدرك مدى اهتمامه بالملل والنحل عامة وبالفرق الإسلامية وعلم الكلام خاصة، وهاهو يصرّح بذلك بنفسه في مقدّمة كتابه الملل والنحل : « فلما وفّقني الله تعالى لمطالعة مقالات أهل الأهواء والنحل،

-
- 8- غاية المرام في علم الكلام. نسبه إليه الخوارزمي.
 - 9- قصّة موسى والخضر. نسبه إليه البيهقي.
 - 10- المبدأ والمعاد. نسبه إليه الخوارزمي.
 - 11- مجالس مكتوبة. رآها البيهقي. وكانت المجالس لا تكتب إلا نادرا.
 - 12- مصارعة الفلاسفة، أو المصارعة والمصارعة. نسبه إليه صدر الدين الشيرازي.
 - 13- مفاتيح الأسرار ومصابيح الأبرار في تفسير القرآن. نسبه إليه البيهقي.
 - 14- المناهج والآيات. نسبه إليه البيهقي وابن خلّكان وأبو الفداء.
 - 15- شبهات أرسطاطاليس وابن سينا ونقضها. ذكرها الشهرستاني نفسه.
 - 16- نهاية الأوهام. أشار إليه الشهرستاني في آخر كتابه «نهاية الإقدام»
 - 17- نهاية الإقدام في علم الكلام. مطبوع.
 - 18- الملل والنحل، الكتاب الذي نعتمده في بحثنا هذا.
- (١) لقد اعتمد لإنجاز هذا العمل كتاب الملل والنحل بتحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فعور ج1، دار المعرفة، بيروت-لبنان، ط4، 1315/1995. رأينا من المفيد أن نورد ترجمة الشهرستاني التي أوردها المحققان في المقدمة رغم طولها.

والوقوف على مصادرهما ومواردها، واقتناص أو انسائها وشواردها، أردت أن أجمع ذلك في مختصر يحوي جميع ماتدين به المتدينون وانتحله المنتحلون، عبرة لمن استبصر، واستبصارا لمن اعتبر^(ب).

فالرجل في مقدمته المنهجية هذه لم يحدد موضوع كتابه ومنهجه إلا بعد أن بين سعة مصادره ومراجعته وتنوعها ومدى إلمامه بها، وعيا منه بموسوعيته في هذا الفن، فيمكن لنا حينئذ أن نتساءل عن مدى اهتمامه بعوامل نشأة الفرق الإسلامية وتسميتها وألقابها، تلك الفرق التي خصص لها الباب الأول من هذا الكتاب في فصوله الستة الأولى، كما لنا أن نتساءل عن مدى التزامه بالموضوعية التي اشترطها على نفسه في المقدمة الثانية من الكتاب بقوله : « وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كل فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله... »^(ج) عند اهتمامه بالقضيتين المطروحتين في التساؤل الأول.

ويحسن هنا أن نوطين لهذه الإجابة بالنظر في قضية الفرق كما جاءت في القرآن الكريم والحديث الشريف.

(ب) الملل : 17/1.

(ج) ن.م : 22/1.

أ- القرآن الكريم وقضية الفرق

يتعرّض الشهرستاني في كتاب الملل والنحل أثناء الحديث عن الفرق إلى عديد من الآيات الكريمة، مع العلم أنّ هذه النصوص هي منطلق جميع علماء الكلام، فلذلك يحسن أن نتأمّل في ما جاء في القرآن الكريم عن الفرق.

يعتبر الشهرستاني في المقدمة الثالثة من كتاب الملل والنحل، جاءت بعنوان : « في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة وانشعابها »، أن أول شبهة في الخليفة ترجع إلى موقف إبليس اللعين من آدم عليه السلام⁽¹⁾، ويحلّل القضية تحليلًا موسعًا فيعتبر أن كلّ الفرق انطلقت في عديد من شبهها من طريقة إبليس في التكبر على آدم وفي الإعراض عن السجود له.

ولا نريد أن نقف عند هذا التفسير لقضية الفرق، وإنّما هي إحدى وجهات نظر الشهرستاني ينبغي ألاّ نغفل عنها، وقد

(1) ن.م : 28-23/1

وردت قصّة آدم عليه السلام مع إبليس اللعين في مواطن عديدة في القرآن الكريم⁽²⁾.

وإن لم يقف الشهرستاني صراحة عند الآيات القرآنية التي تعالج قضية الافتراق فإننا نلمس أثرها في عديد من المواطن من كتابه⁽³⁾ لذلك أحببنا أن نقف عند هذه الآيات لنتبين مدى تنديدها بمساوئ الافتراق وعرضها لطريقة العلاج عندنا تبدو ملامح الافتراق في أفق حياة الأمة المسلمة.

والم تأمل في الكتاب العزيز يلمس أن مادة ف. ر. ق. وردت فيه عدة مرّات، وفي صيغ متعدّدة⁽⁴⁾ إلا أن ما يهمنّا منها يمكن أن يتملّ فيما يلي :

1- النهي عن الاقتداء بالأمم السابقة الذين توزّعوا إلى فرق: يقول تعالى : ﴿ ولا تكونوا كالذين تفرّقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات وأولئك لهم عذاب عظيم. ﴾ [3 آل عمران 105]

(2) ر. جول لابوام : تفصيل آيات القرآن الكريم. نقلها إلى العربية محمد فؤاد عبد الباقي. دار الكتاب العربي. بيروت 1969. ص 466-468.

(3) مثال في تعيين قانون بيني عليه تعداد الفرق الإسلامية ص 20-21 المقدمة الثالثة : في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة. ص 23-28. المقدمة الرابعة: في بيان أول شبهة وقعت في الملة الإسلامية ص 28-32.

(4) محمد فؤاد عبد الباقي : المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم.

ويقول تعالى أيضا : ﴿ وما تفرّق الذين أوتوا الكتاب إلّا من بعد ما جاءتهم البينة وما أمروا إلّا ليعبدوا الله مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصّلاة ويؤتوا الزّكاة وذلك دين القيمة ﴾ [98 البينة 4-5].

فالقرآن الكريم حينئذ ينهى المؤمنين عن الافتراق ويذكّرهم بما وقع للأمم السابقة وخاصّة من أهل الكتاب الذين جاءتهم البينات وتنزل عليهم الوحي، ومع ذلك تصدّع صفّهم، واختلفت كلمتهم، وافترق شملهم، والله تعالى يتوعّدهم بأشدّ العذاب.

2- الرّسول محمد عليه السلام ليس من الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا : قال تعالى : ﴿ إنّ الذين فرّقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء إنّما أمرهم إلى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون ﴾ [6 الأنعام 159].

إنّ جلّ كتب التفسير تنطلق من هذه الآية لتبيّن أسباب افتراق المسلمين ولتذكّرهم ببعدهم عن سيرة الرّسول عليه السلام ذاك الذي وحد الأمة تحت لواء الإسلام، إذ أنّهم بافتراقهم يكونون بعيدين عن مسلك الرّسول عليه السلام، ثم

يتوَعَدُّهم القرآن بأنَّ اللهَ محاسبهم على هذا الافتراق أدقَّ الحساب⁽⁵⁾.

3- القرآن يدعو إلى الاعتصام بحبل الله المتين :

يقول تعالى : ﴿ واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون ﴾ [3 آل عمران 103].

أثيرت العصبية القبلية والجنسية زمن الرسول عليه السلام وكادت تفرق شمل الصحابة رضوان الله عليهم فتنزلت هذه الآية تذكر المسلمين بضرورة التمسك بحبل الله وهو القرآن الكريم، ونهت عن التفرقة مذكرة بنعمة الإسلام على هؤلاء المسلمين الذين صيرهم الإسلام أمة بعد أن كانوا أشتاتا متناثرين. ولا ينبغي أن نغفل هنا عن تأليف الرسول عليه السلام بين الأوس والخزرج، ثم عن مؤاخاته بين المهاجرين والأنصار، إلى أن اتحد صف المسلمين وصاروا يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة.

(5) ر. محمد عبده ورشيد رضا : تفسير المنار. دار المنار. القاهرة.

1371/1952. ج 8 / ص 213-232.

4- النهي عن اتباع السَّبَل : يقول جلّ جلاله : ﴿ وان هذا صراطي مستقيما فاتبعوه ولا تتبعوا السَّبَل فتفرق بكم عن سبيله، ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون ﴾ [6 الأنعام 153].

عن عبد الله بن مسعود (36 - 653) قال : خطَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وسلَّم بيده خطاً ثمَّ قال : " هذا سبيل اللّٰه مستقيما "، ثمَّ خطَّ خطوطا عن يمين ذلك وعن شماله ثمَّ قال : " وهذه السَّبَل ليس منها سبيل إلّا وعليه شيطان يدعو إليه " ثمَّ قرأ هذه الآية⁽⁶⁾.

5- التنازع يورث الفشل : يقول تعالى : ﴿ وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم، واصبروا إنَّ الله مع الصّابرين ﴾ [8 الأنفال 46]. وإن جاءت هذه الآية محدّثة عن أحوال الحرب فإنّها تصلح أيضا لأحوال السّلم، ذاك أن النزاع مهما كان نوعه يورث الفرقة، ولا ينتج عن التّفريق إلّا التّصدّع والوهن.

6- افتراق النّاس إلى أحزاب ولا يفلح إلّا حزب اللّٰه : يقول تعالى : ﴿ وأنّ هذه أمّتكم أمّة واحدة وأنا ربكم فاتّقون،

⁽⁶⁾ ن.م : 194/8-200. حديث "وهذا السبل" : الدارمي : مقدّمة 23. أحمد ابن حنبل : 1، 35، 465.

فَنَقُطُّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبْرًا، كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿23 المؤمنون 52-53﴾، ويقول تعالى : ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [58 المجادلة 19]، ويقول أيضا : ﴿أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [58 المجادلة 22]، واضح من هذه النصوص أنَّ القرآن الكريم ينهى عن التحزب إلى الشيطان وكلِّ ما يتصل به من زيغ وبدع وضلال، ويدعو إلى الاتحاد والتَّحزب لله تعالى لمن أراد الفلاح في الدارين، وفي هذا دعوة صريحة إلى توحيد كلمة الأمة، وإلحاح على اجتناب كلِّ أنواع التفرقة.

7- حرص أهل الكتاب على إضلال المسلمين : يقول عز من قائل : ﴿وَدَّتْ طَائِفَةٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يُضَلُّوكُمْ، وَمَا يُضَلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ [3 آل عمران 89]، وإنَّنا نعلم تاريخياً مصداق هذه الآية الكريمة، إذ من أكبر دسائس أهل الكتاب العمل على غرس التفرقة بين المسلمين، وكتب الفرق تلحَّ على دور عبد الله بن سبأ (نحو 660/40) في إشاعة معتقدات ترمي إلى تكسير وحدة المسلمين.

8- العلاج المقترح عند ظهور بذور الافتراق : يقول تعالى : ﴿وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا،

فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله، فإن فاعت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا، إن الله يحب المقسطين، إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون» [49 الحجرات 9].

إن المتأمل في كتب التفسير وكتب التاريخ وكتب الفرق يتبين أن المسلمين تنازعوا هذا النص القرآني تنازعا كبيرا خاصة في معركة صفين، وظلت كل فئة تعتبر أن الفئة الأخرى هي الباغية، ومن ذلكم التنازع الذي غلب فيه المسلمون على أمرهم لأسباب عديدة انبثقت بذور الافتراق بعد أن كانت هذه الأمة واحدة متماسكة متمسكة بكتاب الله تعالى وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ب- الحديث الشريف وقضية الافتراق :

يقول الشهرستاني بعد أن بين طرق من سبقوه في تقسيم أهل العلم ما يلي : « ويفترق كل منهم فرقا. فأهل الأهواء ليست تنضبط مقالاتهم في عدد معلوم. وأهل الديانات قد انحصرت مذاهبهم بحكم الخبر الوارد فيها، فافتقرت المجوس على سبعين فرقة، واليهود على إحدى وسبعين فرقة

والنصارى على اثنتين وسبعين فرقة، والمسلمون على ثلاث وسبعين فرقة، والناجية أبدا من الفرق واحدة، إذ الحق من القضيتين المتقابلتين في واحدة، ولا يجوز أن يكون قضيتان متناقضتان متقابلتين على شرائع النّقابل إلا أن تقتسما الصّدق والكذب، فيكون الحق في إحدهما دون الأخرى، ومن المحال الحكم على المتخاصمين المتضادين في أصول المعقولات بأنهما محققان صادقان.

وإذا كان الحق في كل مسألة عقلية واحدا، فالحق في جميع المسائل يجب أن يكون مع فرقة واحدة، وإنما عرفنا هذا بالسّمع وعنه أخبر التّنزيل في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [7 الأعراف 181]، وأخبر النبي عليه الصلاة والسلام: "ستفترق أمّتي على ثلاث وسبعين فرقة، الناجية منها واحدة، والباقون هلكى". قيل: «ومن النّاجية؟» قال: "أهل السّنة والجماعة". قيل: «وما السّنة والجماعة؟» قال: "ما أنا عليه وأصحابي".

وقال عليه الصلاة والسلام: "لا تزال طائفة من أمّتي ظاهرين على الحقّ إلى يوم القيامة".

وقال عليه السلام : « لا تجتمع أمّتي على ضلالة »⁽⁷⁾.

فالشهرستاني حينئذ ينطلق من هذا الحديث عن افتراق الأمة ليقرّر حقيقتين، أولاهما أنّ الحق لا يكون إلا مع فرقة واحدة في القضايا العقدية، ثانيتهما أنّ الأمة الإسلامية افتقرت إلى ثلاث وسبعين فرقة وقد حرص على ضبطها وإحصائها في كتابه.

والملاحظ أنّه، وإن انتفتت جل كتب الفرق على الانطلاق من هذا الحديث باستثناء الأشعري في مقالاته، فإنّ كتب الحديث والاستدراك والموضوعات مواقف منه نكتفي بذكر أهمّها.

أمّا مالك (796/179) والبخاري (870/256) ومسلم (875/261) والنسائي (916/303) فلم يخرجوا هذا الحديث.

⁽⁷⁾ الشهرستاني : الملل 19/1-20. حديث الافتراق وقع تخريجه مباشرة

في البحث اعتمادا على مقال عمر بن حمادي.

- حديث "لا تزال" جاء في المعجم المفهرس بصيغة لا يزال :

البخاري: اعتصام، 1، مناقب، 28، توحيد، 29. مسلم : إيمان، 247،

إمارة، 170، 171، 173، 175، 177. أبو داود: جهاد، 4. فتن، 1،

الترمذي: فتن، 27، 51. ابن ماجه : مقدمة، 1، فتن، 9. الدارمي : جهاد، 38.

أحمد بن حنبل : 4، 104، 5، 35، 269، 278، 279.

- حديث "لا تجتمع" جاء مؤكداً بأنّ في ابن ماجه : فتن، 8.

- بينما أبو داود (891/277) والترمذي (893/279) وابن ماجه (897/283) فقد اتفقوا على إثباته.

- كما أن الحاكم النيسابوري (1017/405) قد أثبتته في كتابه المستدرک على الصحيحين.

- وقد أثبتته ابن الجوزي الحنبلي (1201/597) كما يلي :
بعد أن روى الحديث رواية خاصة بين أن لا أصل لها وهي :
« تفرق أمّتي على سبعين أو إحدى وسبعين فرقة كلهم في الجنة إلا فرقة واحدة. قالوا : "يا رسول الله: من هم ؟" قال : " الزنادقة والقدرية " ثم يضيف : " بلى ... قد رواه عن رسول الله علي بن أبي طالب وسعد بن أبي وقاص ... قالوا فيه : واحدة في الجنة وهي الجماعة. " كتاب الموضوعات الكبرى 276/1.

ونرى من المفيد هنا أن نذكر خمسا منها.

1- ابن ماجه... عن أبي هريرة : " تفرقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة و تفرق أمّتي على ثلاث و سبعين فرقة".

2- أحمد بن حنبل... عن أنس بن مالك : " أن بني إسرائيل قد افرقت على اثنتين و سبعين فرقة، وأنتم تفرقون مثلها، كلّها في النار إلا فرقة ".
مثلا : ...

3- ابن ماجه... عن عوف بن مالك : " افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، فواحدة في الجنة وسبعون في النار، وافتרכת النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، فأحدى وسبعون في النار وواحدة في الجنة، والذي نفس محمد بيده لتفترقن أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، واحدة في الجنة واثنان وسبعون في النار. قيل يا رسول الله من هم ؟ قال : الجماعة " .

4- أحمد بن حنبل وأبو داود... عن معاوية بن أبي سفيان : " إن أهل الكتابين افترقوا في دينهم على اثنتين وسبعين ملة، وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين ملة يعني - أهل الأهواء - كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وإنه سيخرج من أمتي أقوام تجاري بهم تلك الأهواء كما يتجاري الكلب بصاحبه، لا يبقى منه عرق ولا مفصل إلا دخله " .

5- الترمذي... عن عبد الله بن عمرو: " سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل، حتى من كان منهم من أتى أمة علانية لكان في أمتي من يصنع ذلك، وإن بني إسرائيل تفرقت على اثنتين وسبعين ملة و تفرقت

أَمَّي عَلَى ثَلَاثٍ وَ سَبْعِينَ مَلَّةً، كُلِّهْم فِي النَّارِ إِلَّا مَلَّةً وَاحِدَةً،
قَالَ: " مَنْ هِيَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ " قَالَ: " مَا أَنَا عَلَيْهِ وَ أَصْحَابِي " .

وَالْخُلَاصَةُ أَنَّ كُتُبَ الْحَدِيثِ لَمْ تَتَّفَقْ عَلَى إِخْرَاجِ كُلِّ
الرُّوَايَاتِ وَأَنَّ أَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلٍ قَدْ اسْتَأْثَرَ بِإِخْرَاجِ أَكْبَرِ عَدَدِ مِنَ
الرُّوَايَاتِ الْمَذْكُورَةِ.

وَهَذِهِ الرُّوَايَاتُ يُمْكِنُ أَنْ نَصْنِفَهَا إِلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ :

- (1) مِنَ الصَّنَفِ الْمَحَايِدِ : لِأَنَّهَا اكْتَفَتْ بِذِكْرِ الرَّقْمِ فَقَطْ.
- (2) مِنَ الصَّنَفِ الْمُسْتَثْنَى : لِأَنَّهَا اكْتَفَتْ بِاسْتِثْنَاءِ الْفَرْقَةِ
الْناجِيَةِ دُونَ أَنْ تُحَدِّدَ هَوِيَّتَهَا.
- (3 و 4 و 5) الصَّنَفُ الْمُنْحَازُ : لِأَنَّهَا تَنْصُصُ عَلَى هَوِيَّةِ
الْفَرْقَةِ الْناجِيَةِ.

وَالْحَقِيقَةُ أَنَّ عَمَرَ بْنَ حَمَادٍ⁽⁸⁾ قَدْ مَحَّصَ هَذِهِ الْقَضِيَّةَ
أَحْسَنَ تَمْحِصٍ، وَذَلِكَ هُوَ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ فِي شَأْنِ مُخْتَلَفِ
الرُّوَايَاتِ، وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نَنْقُلَ هَذَا الْعَمَلَ بِرُمَّتِهِ، وَإِنَّمَا نَكْتَفِي
بِضَبْطِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنْ نَتَائِجِ وَهِيَ : " وَتَحْلِيلُنَا لِلْأَغْرَاضِ الَّتِي

(8) عَمَرُ بْنُ حَمَادٍ أَسْتَاذُ بِقَسْمِ التَّارِيخِ بِكَلِيَّةِ الْأَدَابِ مَنُوبَةِ. جَامِعَةُ تُونِسِ
الْأُولَى، مَعَاصِر.

يرمي إليها هذا الحديث في روايته الأكمل أي الرواية المنحازة، نراه يسجل لنا ثلاث نقاط رئيسية هي : كثرة الفرق الموجودة، كل هذه الفرق في النار إلا واحدة. « الفرقة الناجية » هي : « الجماعة ». فهو إذن حديث يحارب الافتراق ويهدد الفرق من ناحية، ويدعو إلى التمسك « بالجماعة » لأن ذلك هو سبيل النجاة من ناحية أخرى. فهو حديث يمجّد في الواقع أولئك الذين يطلقون على أنفسهم اسم « أهل السنة والجماعة » ويعكس لنا حالة صراع كبير كان قائما بين مختلف الفرق...

فنحن نلاحظ... أن كتب الردّ المعبرة عن هذا الصراع قد ازداد عددها منذ فجر القرن الثالث هجري/9 ميلادي وقد شمل ذلك المشرق والمغرب على السواء، وقد كانت الفرق المتصارعة تستعمل أسلحة مختلفة من بينها الاستشهاد بالحديث لمعاوضة آرائها فازدهرت حركة الوضع وظهرت حركة نقد الحديث، لذلك يمكن القول إن هذا الحديث قد وضعته إحدى الفرق لمواجهة الفرق الأخرى.

أمّا عن هوية هذه الفرقة، فإنّ أول الأسماء التي تتبادر إلى الذهن فرقة أهل السنة والجماعة، لما نجده، في بعض روايات هذا الحديث من تأكيد على التمسك بالجماعة...

ثم بعد التساؤلات والتحليل يقول : " لذلك، ونظرا إلى العوامل التي وقعت الإشارة إليها، فإن الاحتمال الثاني أقرب إلى القبول، أي أن الرواية المنحازة هي التي ظهرت أولا في خضم الصراع الذي كان قائما بين « أهل السنة » والجماعة، من ناحية، والفرق المعادية لها من ناحية أخرى. وأن الروايات الأخرى كانت محاولات تحطيمية للرواية المنحازة...

وأخيرا فإن هذا الحديث الذي هو وليد وضعية فكرية تمتاز بالصراع، أي بالحركية والنشاط، أتى في الحقيقة ليحارب الواقع الذي أفرزه. فهو أتى ليحارب التفرق، أي التتوع والخلق اللذين بدونهما لا يمكن التطور. لذلك كان هذا الحديث ينطوي على خطورة كبيرة في صورة انتصار أصحابه وهو بالفعل ما وقع بداية من القرن الخامس/11، عقب ما سمي بـ « الانتصار السني ». فاشتدت محاربة ما يسمى بـ « البدع »، أي محاربة « التجديد »، واستقر نوع من الجمود الفكري الذي لا يمكن إنكاره بداية من القرن السادس/12، ويمكن القول إن هذا الحديث كان من جملة الأحاديث والأقوال التي ساهمت في انتشار تلك العقلية.

فهذا الحديث هام جدا. وحكنا عليه بالوضع لا ينقص البتة من قيمته التاريخية، لأنه يمكن اعتباره من تلك الأحاديث التي

ساهمت في نحت جانب من الجوانب العقلية للعالم الإسلامي. لذلك فهو يهتم - إلى جانب علماء الحديث - كل المهتمين بتاريخ العقليات. كما أن هذا الحديث هام لما قد يلعبه من دور في عصرنا الحاضر إذا وقع استغلاله من طرف الذين يرون في « الجماعة »: « عدم » الخروج عن الصّفّ «، وفي « الفرق الهالكة »: كل الاتجاهات التي تهدّد « الاستقرار » وتتعارض مع أفكارهم " (9).

وبعد هذا نقول مهما تنوّعت المواقف من هذا الحديث وغيره فإنّ الأمة افتقرت إلى فرق وكفى، ولا سبيل لها إلى النهوض من كبوتها إلّا إذا تآلفت وتعاونت.

وبعد هذه التوطئة نأتي إلى العوامل السياسية والأصولية والثقافية والاجتماعية والمالية لنشأة الفرق الإسلامية كما تستفاد من كتاب الملل والنحل للشهرستاني.

(9) عمر بن حمّادي : مقال حول حديث "افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة". الكراسات التونسية سنة 1981. عدد 115-116. ص 287-357. رأينا من المفيد أن نتوسّع في شأن الحديث عن الافتراق بالاعتماد على هذا المقال لأنّه في رأينا يستوفي الغرض المطلوب من هذا الحديث، ولذلك اكتفينا بمجرد الإحالة عليه، مع اقتباس المهمّ لبحثنا.

I - العوامل السياسية:

(أ) قضية الإمامة :

يقول الشهرستاني : " وانقسمت الاختلافات بعده (الرسول صلى الله عليه وسلم) إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة "(10). نلمس أن الشهرستاني على وعي تام بأهمية الاختلاف في الإمامة من حيث أثره في تفريق الأمة قولاً وعملاً، إذ تحول الصراع من الجدل إلى حدّ السيف، ونصّ الشهرستاني صريح في ذلك : « وأعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة، إذ ما سل سيف في الإسلام على قاعدة دينية مثل ما سل على الإمامة في كل زمان »(11). وهذه العوامل السياسية نتبع فيها مرحلتين.

1- حدث السقيفة وتوجيه الفرق له فيما بعد :

يعتبر الشهرستاني ما حدث في السقيفة الخلاف الخامس(12) بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، وقد روى

(10) الشهرستاني : الملل. 36/1.

(11) ن.م. 31/1.

(12) أما الخلافات الأربعة التي ذكرها الشهرستاني قبل هذا الخلاف فهي:-

وقائع هذا الحدث دون تدخل كبير، إلا أنه اعتبره فلتة لا يمكن أن تتكرر حيث قال : " إلا أن بيعة أبي بكر (635/13) كانت فلتة وقى الله المؤمنين شرّها، كما أنه ذكر الذين امتنعوا عن البيعة بقوله : " سوى جماعة من بني هاشم، وأبي سفيان من بني أمية، وأمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب (166/40) كرم الله وجهه كان مشغولا بما أمره النبي صلى الله عليه وسلم من تجهيزه ودفنه وملازمته قبره من غير منازعة ولا مدافعة " (13).

وإن لم يتدخل الشهرستاني في هذا الحدث فإننا نعتبره حدثا موضوعيا يستوجبه الواقع إثر وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم، ونلمس من خلال ما دار من حوار أن المواقف لم تكن تحمل خلفيات مبيّته، بل امتاز الحوار بالتلقائية والعفوية، وبرزت فيه اجتهادات الصحابة الحاضرين آنذاك، إلا أن هذه الاجتهادات استغلت فيما بعد، وضخمت أكثر مما ينبغي، فكانت بذورا لعدد من الاتجاهات كثيرا ما تحولت بالمواقف عن

الخلاف الأول : تنازع الصحابة عندما طلب الرسول عليه السلام دواة وقرطاسا وهو يحتضر.

- الخلاف الثاني : تجهيز جيش أسامة والاختلاف فيه.

- الخلاف الثالث : في موته عليه السلام.

- الخلاف الرابع : في موضع دفنه عليه السلام. ص 30-31.

(13) ن.م : 31/1.

وجهتها الأولى، والمهم أن التسمية بالأنصار والمهاجرين لم يكن لها أثر في تسمية الفرق فيما بعد، مع العلم أن الوضع استقرّ استقراراً تاماً زمن أبي بكر وعمر.

وقد تجلّى أثر السقيفة خاصة في واحد من وجوه تولية الإمام عند المنظرين للإمامة ألا وهو البيعة وهذه الوجوه هي:

(1) البيعة لأبي بكر وهي ضرب من الشورى.

(2) ولاية العهد من أبي بكر لعمر مع الإلحاح على انتفاء الوراثة.

(3) الشورى بين أهل الحل والعقد كما أمر عمر (644/23) عند وفاته.

2- تمخض الأفتراق عن الفتنة :

يذكر الشهرستاني بتداعي الأوضاع في النصف الأخير من عهد عثمان (23-35/743-656) فيما اعتبره الخلاف التاسع بعد وفاة الرسول عليه السلام، ويلح خاصة على ما عابه الناس على عثمان في شأن تقريب ذوي القربى رغم وجود من هو أكفأ منهم. كما يذكر في الخلاف العاشر بأن بيعة علي شوعية لكنها سرعان ما انبثق عنها ما سمّي بمعركة الجمل (36/657)

ثمّ ما عرف بحركة الزّبيريين، لكنّها لم تبق أثراً لفرقة لها
أصولها⁽¹⁴⁾.

ثمّ يقول : " الخلاف بينه وبين معاوية، وحرب صفّين
(657/37)، ومخالفة الخوارج، وحمله على التّحكيم، ومغادرة
عمرو بن العاص (664/43) أبا موسى الأشعري (665/44)،
وبقاء الخلاف إلى وقت وفاته مشهور "⁽¹⁵⁾.

واضح إذن أنّ معركة صفّين كانت القطرة التي
أفاضت الكأس و اتّضح بعدها توزّع الأُمّة إلى ثلاثة اتجاهات:

- جماعة عليّ (35-656/40-661).

- جماعة معاوية (40-661/60-680).

- جماعة لا مع هذا ولا مع ذاك، بايعت عبد الله بن
وهب الرّاسبي (658/38)* عرفت فيما بعد بتسميات عديدة لقّبها
الشّهريستاني بالخوارج.

⁽¹⁴⁾ ن.م : 32/1.

⁽¹⁵⁾ ن.م : 35/1.

* انظر ما يلي : ص 76.

ثم يقول الشهرستاني : " وانقسمت الاختلافات بعده
[علي] إلى قسمين : أحدهما الاختلاف في الإمامة...
والاختلاف في الإمامة على وجهين :

أحدهما : القول بأن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار.

والثاني : القول بأن الإمامة تثبت بالنص والتعيين.

فمن قال إن الإمامة تثبت بالاتفاق والاختيار :

قال بإمامة كل من اتفقت عليه الأمة أو جماعة معتبرة
من الأمة.

- إما مطلقاً.

- وإما أن يكون قرشياً على مذهب قوم.

- وبشرط أن يكون هاشمياً على مذهب قوم.

- إلى شرائط أخرى كما سيأتي.

ومن قال بالأول، قال بإمامة معاوية وأولاده من بعدهم
بخلافة مروان (685/65) وأولاده.

والخوارج اجتمعوا في كل زمان على واحد منهم بشرط أن يبقى على مقتضى اعتقادهم، ويجري على سنن العدل في معاملاتهم، وإلا خذلوه وخلعوه، وربما قتلوه (16).

والملاحظ أن تحليل الشهرستاني يعكس واقع انقسام الأمة بعد استقرار الأوضاع بعد معركة صفين.

فالجماعة التي رأت أن الإمامة تثبت لكل من اتفقت عليه الأمة أو جماعة معتبرة من الأمة انشطرت إلى شطرين :

الشطّر الأول : يرى أن هذا الاختيار يكون مطلقاً وهذا موقف من عرفوا بالمحكّمة أو أهل حروراء أو أهل النهروان وهم الذين سمّيناهم قبل حين بجماعة عبد الله بن وهب الرّاسبي إذ اعتبر هؤلاء أن الإمامة شورى بين المسلمين على شرط أن يكون الإمام عادلاً مهما كان جنسه فإن تخلّى عن العدل خلع وربما يقتل ومن هؤلاء بقيت الإباضية، وإن أطلق عليهم الناس لقب الخوارج فإنهم يتبرؤون منه.

الشطّر الثاني : وهو الذي ساد البلاد والعباد، وهم الذين قيّدوا اتفاق الأمة بشرط آخر وهو القرشية، وقد مثل هذا

(16) ن.م : 36/1.

الموقف جماعة معاوية أي الاتجاه الأموي في البداية ثم تحول الشرط إلى فرع بني مروان من بني أمية وقد تبنى هذا الموقف بنو العباس الذين أضافوا الهاشمية إلى القرشية وقد استند هؤلاء إلى الحديث : " الأئمة في قریش " (17).

والشهرستاني يسكت عن تحويل هذا التيار الأموي الخلافة إلى ملك عضوض وراثي حسب عبارة ابن خلدون في المقدمة.

وهذا التيار يسميه الشهرستاني بالصفاتية فيقول : " وكان بين المعتزلة وبين السلف في كل زمان اختلافات في الصفات، وكان السلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي بل على قانون إقناعي ويسمون الصفاتية : فمن يثبت صفات الباري تعالى معاني قائمة بذاته، ومن مشبه صفاته بصفات الخلق، وكلهم يتعلقون بظواهر الكتاب والسنة " (18).

وهذا التيار هو نواة ما عرف فيما بعد بأهل السنة والجماعة، والسنة حسب هؤلاء هي سنة الرسول عليه الصلاة والسلام بينما تعتبر التيارات المخالفة، وخاصة منها

(17) حديث " الأئمة من قریش " : أحمد بن حنبل 3، 129، 183، 4، 421.

(18) الملل. 44/1.

التَّيَّارُ العلوي، أن المقصود بالسنة سنة لعن علي في الجُمع
كما يذكر ذلك المهدي المرتضى (922/340) في كتابه المنية
والأمل في شرح الملل والنحل ص 106.

أما الجماعة التي قالت إن الإمامة تثبت بالنص والتعيين
فقد أطل الشهرستاني في ذكر اختلافهم ووصل به إلى ما لا
يقل عن سبعة وعشرين موقفا ويمثل هذا التيار جماعة علي
وهم الذين عرفوا بالشيعة فيما بعد.

ونكتفي بذكر فرقتين من فرق الشيعة على سبيل المثال
لنفهم موقفهم من الوصي.

الزيدية : " أتباع زيد بن علي (740/122) بن الحسين
ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم، ساقوا الإمامة في
أولاد فاطمة رضي الله عنها ولم يجوزوا ثبوت الإمامة في
غيرهم... وكان من مذهبه جواز إمامة المفضول مع قيام
الأفضل. فقال : كان علي بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل
الصَّحابة إلا أن الخلافة فوّضت لأبي بكر الصديق لمصلحة
رأوها، وقاعدة دينية راعوها، من تسكين نائرة الفتنة، وتطبيب
قلوب العامة" (19).

(19) ن.م : 180/1. عن الزيدية : ر. EI₂ tome 3, p 1194-5 =

ثم بين كيف أفضت الخلافة لعمر ولوم الناس لأبي بكر وجوابه " لو سألني ربي لقلت : ولّيت عليهم خيرهم لهم. " ثم يواصل الشهرستاني فيقول : " وكذلك يجوز أن يكون المفضول إماماً والأفضل قائم فيرجع إليه في الأحكام، ويحكم بحكمه في القضايا ⁽²⁰⁾ ". وبهذا يذكر بما كان من عمر رضي الله عنه من استشارة علي كرم الله وجهه في عديد من القضايا ليعمل باستشارته.

ثم يقول الشهرستاني : " ولما سمعت شيعة الكوفة هذه المقالة منه، وعرفوا أنه لا يتبرأ من الشيخين رفضوه (زيد بن علي) حتى أتى قدره عليه، فسميت رافضة ⁽²¹⁾ ". وبهذا نتبين مدى مرونة الزيدية في قضية الإمامة ولماذا لقيت الرافضة رافضة وهو ردّ فعل على هذا الموقف المتسامح.

زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب (79-122/698-740) كانت إقامته بالكوفة، وقرأ على واصل بن عطاء واقتبس منه الاعتزال. قاتل الأمويين وانتهت الحرب بقتله في الكوفة. هو إمام الزيدية من الشيعة. يقولون بجواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل. للإمام زيد "مجموع في الفقه". ط. ر. الزركلي : الأعلام 59/3، ومحمد أبو زهرة: الإمام زيد حياته وعصره، آراؤه وفقهه. بيروت 1378/1958.

(20) ن. م. : 180/1.

(21) ن. م. : 180/1.

الإمامية : " هم القائلون بإمامة علي رضي الله عنه بعد النبي عليه الصلاة والسلام، نصّا ظاهرا، وتعيينا صادقا، من غير تعريض بالوصف بل إشارة إليه بالعين. قالوا : وما كان في الدين والإسلام أمر أهم من تعيين الإمام، حتى تكون مفارقتة (عليه السلام) الدنيا على فراغ قلب من أمر الأمة، فإنه إنما بعث لرفع الخلاف، وتقرير الوفاق، فلا يجوز أن يفارق الأمة ويتركهم هملا (أي دون راع يرعاهم) يرى كلّ واحد منهم رأيا، ويسلك كلّ واحد منهم طريقا لا يوافقه في ذلك غيره، بل يجب أن يعيّن شخصا هو الرجوع إليه، وينصّ على واحد هو الموثوق به والسعول عليه، وقد عيّن عليا رضي الله عنه في مواضع تعريضا، وفي مواضع تصريحاً " (22).

والأساس، بعد النظر في النصوص، أن الشيعة على اختلاف مواقفهم في شأن الوصي جيلا بعد جيل يجمعون على أن الإمامة يجب أن تكون وراثية في الهاشمية وخاصة منهم آل البيت سواء أكانوا ذرية علي من فاطمة أم من غيرها.

(22) ن.م : 1/190.189.

- الإمامية : ضبّطت مبادئهم مع جعفر الصادق (148/765) يقولون بعصمة الإمام، ويرون أن الإمامة تكون في ذرية الحسين. ويقولون بالتقية في حالة الخوف من السلطة الظالمة. ر. EI₂ tome 3, p 1195. article Imamat

هذه ثلاثة تيارات تمخّضت عن اختلاف وجهات النظر في شأن الإمامة وهي أمّ القضايا السياسية، وقد تآلفت حيناً وتناحرت أحياناً، وما يزال الصّراع قائماً بينها كأنّ معركة صفّين قد انتهت بالأمس القريب.

* ثم إن الشهرستاني وإن لم يذكر موقفاً رابعاً أثناء هذا التّقسيم فإنّه عند تقسيم بعض الفرق داخلياً يشير إلى أنّ هناك من وقف موقفاً آخر رابعاً وإن لم يبلغ من الأهميّة ما بلغته المواقف السّابقة لكنّه بما أنّه وجد فلا بدّ من أن يذكر، وهذا الموقف هو موقف القائلين بأنّ الأئمّة ليست بحاجة إلى إمام، وهي قادرة على أن تقوم بشؤونها بنفسها، وينسب هذا إلى النّجّادات من المحكّمة وهم أصحاب نجدة بن علمر (688/69)، يقول الشهرستاني في ذلك: "وأجمعت النّجّادات على أن لا حاجة للنّاس إلى إمام قطّ. وإنما عليهم أن يتناصفوا فيما بينهم، فإن هم رأوا أنّ ذلك لا يتمّ إلّا بإمامة عليهم فأقاموه جاز" (23).

(23) ن.م : 143/1.

- نجدة بن عامر الحروري الحنفي (36-69/688-656) : من بني حنيفة ابن بكر بن وائل. رأس الفرقة النّجدية، ويعرف أصحابها بللنّجّادات. من كبار أصحاب الثورات في صدر الإسلام. أقام نحو خمس سنين وعماله بالبحرين واليمامة وعمّان وهجر وبعض أرض العرّض.=

كما ينسب ابن خلدون في المقدمة^٣ عند حديثه عن وجوب الإمامة مثل هذا الموقف إلى أحد المعتزلة يعرف بالأصم^{٢٣٧/٨٥١}) وهذا الموقف انتهى بانتهاء أصحابه^(٢٤).

* ولا بأس من أن نذكر هنا جماعة الحيات وهم بعض الصحابة الذين اجتنبوا هذه الفتنة من أصلها ولم يقفوا مع أي تيار من هذه التيارات المتصارعة، وهذا الموقف أيضا انتهى بانتهاء أصحابه. فيقول الشهرستاني: "والذين اعتزلوا إلى جانب فلم يكونوا مع علي رضي الله عنه في حروبه ولا مع خصومه، وقالوا: "لا ندخل في غمار الفتنة بين الصحابة رضي الله عنهم: عبد الله بن عمر (693/73)، وسعد بن أبي وقاص (675/55)، ومحمد بن مسلمة الأنصاري (667/46)،

لم يتمكن عبد الله بن الزبير أن يقضي عليه. وقيل تمكن من قتله. له مقالات يوردها كتاب المقالات.

- الحروري نسبة إلى حروراء موضع على ميلين من الكوفة كان أول اجتماع الخوارج به، فنسبوا إليه. قال ابن تيمية: مما يدل على أن الصحابة لم يكفروا الخوارج أنهم كانوا يصلون خلفهم، وكان عبد الله بن عمر وغيره من الصحابة يصلون خلف نجدة الحروري. ر. الأعلام: 10/8.

(24) ابن خلدون: المقدمة.

- أما الأصم فلم نعثر له على ترجمة.

وأسامة بن زيد بن حارثة الكلبي (666/45) مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽²⁵⁾.

بعد هذا يتّضح أنّ النزاع حول الإمامة وما يتعلّق به من تولّد الافتراق يمكن أن يتلخّص فيما يلي :

1- الإمامة وراثيّة في قريش : وهو موقف الصّفاتيّة والمرجئة وبعض أهل العدل والتّوحيد.

2- الإمامة وراثيّة في آل البيت : الشيعة وجلّ أهل العدل والتّوحيد.

3- الإمامة شورى بين المسلمين : المحكّمة.

4- لا إمامة : النّجّادات من الخوارج والأصمّ من أهل العدل والتّوحيد.

5- الحياد : بعض الصّحابة.

ب) قضيّة تعيين الولاة

وإن بدت هذه القضية فرعيّة في العوامل السياسيّة لكنها كان لها بعض الشأن في إثارة الفتنة.

(25) الملل : 161/1.

فبقدر ما تحاشى أبو بكر وعمر تعيين قرابتهما في مناصب الدولة الناشئة، إلى حدٍّ أنَّ عمر امتنع عن تعيين ابنه ضمن مجلس الشورى، غلب عثمان على أمره - على أغلب الروايات - وقرب قرابته من بني أمية وفي ذلك يقول الشهرستاني : " غير أنَّ أقاربه من بني أمية قد ركبوا نَهَابِ (جمع نهيرة وهي المهلكة) فركبته، وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة عن بني أمية... وكلهم خذلوهم ورفضوه حتى أتى قدره عليه، وقتل مظلوماً في داره، وثارَت الفتنة من الظلم الذي جرى عليه، ولم تسكن بعد " (26).

فالشهرستاني واع بأن قضية تعيين القرابة في مناصب الدولة كان لها ضلع في إثارة الفتنة التي انطلقت بما عرف بحادثة الدار (656/35)، وبيّن أنها لم تسكن بعد، إذ ما أن بويع الإمام علي حتى اتخذت المطالبة بدم عثمان منطلقاً لجل ما حدث من شغب.

(26) ن.م : 34-35.

بقي هنا أن نذكر بأنَّ الشهرستاني وإن لم يشر في
 الخلاف النَّاسع إلى دور عبد الله بن سبأ^١ اليهودي الأصل في
 تأليب أهل الأمصار على عثمان كما تذكر ذلك جلُّ المصادر
 ملحة على أنَّ هذا اليهودي أسلم من أجل الدس، وكان المحرك
 الأساسي للفتنة التي انتهت بمقتل عثمان فإنَّه ذكره في الخلاف
 العاشر على رأس الذين غالوا في شأن الإمام علي واعتبره
 نواة لما سماه بغلاة الشيعة^(26 مكرر).

والملاحظ في خاتمة المطاف عن العوامل السياسية أنَّها
 وإن كانت سببا في افتراق المسلمين بعد أن كانوا صفاً واحداً
 لا يمكن أن تفصل عن بقية العوامل لأنَّها كلُّها ترجع إلى منبع
 واحد، وإنَّما جاء الفصل بينها منهجياً حتى تتضح النتائج وإلاَّ
 فلا فصل بين الروحي والزمني في الإسلام.

* - عبد الله بن سبأ (ت نحو 660/40). رأس الطائفة السَّبئية. وكانت
 تقول بالوهمية علي. أصله من اليمن، قيل كان يهودياً وأظهر الإسلام.
 رحل إلى الحجاز فالبصرة فالكوفة ودخل دمشق في أيام
 عثمان بن عفان فأخرجه أهلها، فأنصرف إلى مصر وجهر ببذعته.
 ر. الزركلي : الأعلام 220/4.

(26 مكرر) الملل : 32/1

II- العوامل الأصولية « العقديّة »

إنَّ الشهرستاني في المقدمة الأولى يقسم أهل العالم إلى أهل الديانات وأهل الأهواء فيقول : " وهم (أهل العالم) منقسمون بالقسمة الصحيحة الأولى إلى أهل الديانات والملل وأهل الأهواء والنحل.

فأرباب الديانات مطلقا مثل المجوس، واليهود، والنصارى، والمسلمين.

وأهل الأهواء والآراء مثل الفلاسفة، والذهريّة، والصابئة، وعبد الكواكب والأوثان، والبراهمة⁽²⁷⁾.
ثم بيّن أنَّ الإسلام خَصَّ بالفرقة الناجية.

وقبل أن نخوض في مواقف الشهرستاني نذكر بما جله في القرآن عن المحكم والمتشابه، قال تعالى : ﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب وأخر متشابهات، فأما الذين في قلوبهم زيغ فيتبعون ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله، وما يعلم تأويله إلا الله،

(27) ن.م : 19/1.

والرَّاسخون في العلم يقولون آمنا به كلُّ من عند ربِّنا وما يذكَّرُ
إِلَّا أولوا الألبابِ ﴿3﴾ [آل عمران 7].

ومعلوم أنَّ عملية إرجاع المتشابه إلى المحكم كانت
مثار جدل كبير بين المسلمين.

كما أنَّ الشهرستاني يميِّز بين الاختلاف في الأصول
(أصول الدِّين) وبين الاختلاف في الفروع (الفقه)، فإن كان
النَّوع الثاني من الاختلاف ضرورةً حياتيَّةً وفيه رحمة
للعالمين، فإنَّ النَّوع الأوَّل من الاختلاف كان مصدر شغب في
الأُمَّة لأنَّ الأصول لا يكون فيها الحقُّ إلَّا من جانب واحد، وقد
حرص الشهرستاني على أن يستوفي عدد الفرق ثلاثاً وسبعين
فرقةً كما ورد في الحديث : " ستَفترق أمتي على ثلاث وسبعين
فرقةً، النّاجية منها واحدة، والباقون هلكى، قيل : ومن النّاجية؟
قال : أهل السّنة والجماعة ؟ قيل : « وما السّنة والجماعة؟ »
قال : " ما أنا عليه اليوم وأصحابي " 27 مكرر.

وصاحب الملل يورد الحديث دون أن يثير حوله أيَّ
تساؤل، بل كان بالنّسبة إليه بمثابة التّظهير الذي عمل على
جانب التّطبيق فيه، وقد مكّنته قدرته المنهجية من أن يقيم

27 مكرر ن.م : 20/1

العلاقة بوضوح بين الفرق والأصول على رباعيتين أساسيتين، وعن رباعية الأصول انبثقت رباعية الفرق وما انتشعب عنها من افتراقات داخلية حرص الشهرستاني على التعريف بشأنها وبأهم مبادئها بصفة مختصرة في كامل الكتاب وفاء للمنهج الذي التزمه في خطبة الكتاب. ولا يغفل الشهرستاني عن أن يعتبر ذلك الأصل محصوراً في أربعة " فإن الفرد الأول ثلاثة والزوج الأول أربعة، وهي النهاية وما عداها مركّب عنها" (28).

والملاحظ أن الشهرستاني يعتبر أن الاختلاف بين المسلمين ينقسم إلى قسمين أحدهما الاختلاف في الإمامة كما بينا ذلك " والثاني الاختلاف في الأصول" (29).

وعندما يأتي إلى الاختلاف في الأصول يقول : "وأما الاختلافات في الأصول فحدثت في آخر أيام الصحابة بدعة معبد الجهني... (699/80) " (30).

(28) ن.م : 48/1.

(29) ن.م : 36/1.

(30) ن.م : 40/1.

- معبد بن عبد الله بن عويمر الجهني البصري (699/80). أول من قال بالقدر في البصرة. سمع الحديث من ابن عباس وعمران بن حصين =

وقد تعرّض الشهرستاني لهذه الاختلافات بصفة مجملة ثم تحوّل إلى التفصيل حسب مناهج ثلاثة متكاملة يوضّح بعضها البعض.

1- المنهج الأول : وخصّص له المقدّمة الثانية وسماها :
" في تعيين قانون يبني عليه تعديد الفرق الإسلامية " (31).

2- المنهج الثاني : تتبّع فيه التطوّر التاريخي لعلم الكلام منذ نشأته ونشأة الفرق إلى عصره، مع ذكر أهمّ القضايا التي تولّدت عن بعضها البعض عبر الزمن (32).

3- المنهج الثالث : وقد أقامه على ظاهرة المقابلات بين الفرق المتضادة، وخاصة منها الصفاتية والمعتزلة، انطلاقاً من القانون الذي أقرّه في المقدّمة الثانية. فيقول :
" الفريقان من المعتزلة والصفاتية متقابلان تقابل التضادّ، وكذلك القدرية والجبرية، والمرجئة والوعيدية، والشيعية

وغيرهما. انتقل من البصرة إلى المدينة فنشر فيها مذهبه وعنه أخذ غيلان الحمشقي. قيل قتله الحجاج صبرا. وقيل صلبه عبد الملك بن مروان بدمشق على القول في القدر ثم قتله. ر. الزركلي: الأعلام 264/7.

(31) ن.م : 40/1.

(32) ن.م : 20/1-22.

والخوارج، وهذا التّضادّ بين كل فريق وفريق كان حاصلًا في كلّ زمان، ولكلّ فرقة مقالة على حيالها، وكتب صنفوها، ودولة عاونتهم، وصولاً طاعوهم⁽³³⁾.

واضح أنّ أسس هذه المناهج الثلاثة تتطافر لتبيّن ما يوليه الشهرستاني من قيمة للعامل الأصولي في نشأة الفرق، وما هو يصرح بذلك في المقدّمة الثّانية التي ذكرنا عنوانها قبل حين : "إعلم أنّ لأصحاب المقالات طرقاً في تعديد الفرق الإسلامية، لا على قانون مستند إلى أصل ونصّ، ولا على قاعدة مخبرة عن الوجود. فما وجدت مصنّفين منهم متفقين على منهاج واحد في تعديد الفرق...

وما وجدت لأحد من أرباب المقالات عناية بتقرير هذا الضّابط، إلّا أنّهم استرسلوا في إيراد مذاهب الأمة كيف اتّفق، وعلى الوجه الذي وجد، لا على قانون مستقرّ، وأصل مستمرّ، فاجتهدت على ما تيسّر من التّقدير، وتقدّر من التّيسير حتّى حصرتها في أربع قواعد، هي الأصول الكبار.

القاعدة الأولى : الصّفات والتّوحيد فيها... وفيها الخلاف بين الأشعرية، والكرامية، والمجسّمة، والمعتزلة.

(33) ن.م : 56/1.

القاعدة الثانية : القدر والعدل فيه... وفيها الخلاف بين
القدرية والنجارية، والجبرية، والأشعرية والكرامية.

القاعدة الثالثة : الوعد والوعيد والأسماء والأحكام...
وفيها الخلاف بين المرجئة، والوعيدية، والمعتزلة، والأشعرية
والكرامية.

القاعدة الرابعة : السمع والعقل، والرسمية، والإمامة...
والخلاف فيها بين الشيعة، والخوارج والمعتزلة، والكرامية
والأشعرية.

... فإذا تعينت المسائل التي هي قواعد الخلاف، تبينت
أقسام الفرق الإسلامية، وانحصرت كبارها في أربع بعد أن تداخل
بعضها في بعض : **القدرية، الصّفاتية، الخوارج، الشيعة.**
ثم يتركّب بعضها مع بعض، ويتشعب عن كل فرقة
أصناف، فتصل إلى ثلاثة وسبعين فرقة...

وترتيب هذا المختصر على الطريقة الأخيرة وضع
الرجال وأصحاب المقالات أصولاً، ثم إيراد مذاهبهم في مسألة
مسألة لأنّي وجدتّها أضبط للأقسام وأليق بباب الحساب⁽³⁴⁾.

(34) ن.م : 20-22.

وخلاصة القول عند الشهرستاني إن القواعد الأصولية
 أربعة وقد انبثقت منها أربع فرق كبار، وكلّ منها نظرية
 متكاملة تربط بين مفهومها للقواعد رباطا وثيقا، إذ مثلا لا يقبل
 لمن يعتبر أنه لا تضرّ مع الإيمان معصية أن يرى خلود
 مرتكب الكبيرة في النار، والعكس بالعكس، فمن يربط العمل
 بالإيمان يصعب أن يتنازل عن فكرة الخلود، والقضية التي
 أثارت البلاء بين الفرق تتمثل في أن كلّ فرقة تحاول أن تحكم
 على الفرق الأخرى من خلال منظوماتها الخاصة اعتمادا على
 ما تتبنّاه من مفاهيم اصطلاحية، وهذا ما وقع فيه الشهرستاني
 نفسه فيما سَمّيناه المنهج الثاني والثالث خاصة حيث
 اعتبر المدرسة الأشعرية قاعدة تقاس عليها بقية الفرق رغم
 أنه ذكر في المقدمات أنه سيترك الحكم للقارئ : " وشرطي
 على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم،
 من غير تعصّب لهم، ولا كسر عليهم، دون أن أبين صحّحه
 من فساد، وأعين حقه من باطله، وإن كان لا يخفى على الأفهام
 الذكيّة في مدارج الدلائل العقلية لمحات الحقّ ونفحات الباطل،
 وبالله التوفيق " (35).

ومثل هذه المواقف وما جاء قبلها في كتب الفرق والمقالات وجّهت الفكر الإسلامي توجيهاً معيناً، زاد في التنافر والتناثر بين الفرق مع ما عرفه بعض منها من مدد من السلطة الحاكمة، والشهرستاني لم يغفل عن ذلك كما أوردنا من قبل : " ولكلّ فرقة ... دولة عاونتهم، وصولة طاوعتهم " (36) ونكتفي بالتذكير بمحنة خلق القرآن الكريم بتياريتها حيث نكل المأمون (833/218) بكلّ من يقول بالقدم، ثم ردّ المتوكّل (861/247) الثّار فكال الصّاع صاعين لكلّ من يقول بالخلق.

وبهذا نتبيّن أنّ القواعد الأصوليّة التي كانت سبباً لانبثاق كبار الفرق، وما انبثق عنها تشمل الإلهيات (الصفات والتّوحيد فيها)، والإنسانيات (القدر والعدل، والوعد والوعيد والأسماء والأحكام)، والرّساليات (السّمع والعقل والرّسالة)، وتلك هي أهمّ مواضيع علم الكلام وأصول الدين التي تكوّنت حولها المقالات التي كان الخلاف فيها منطلقاً لانبعاث الفرق الإسلامية.

واضح من خلال هذا العرض ما يوليه الشهرستاني من أهميّة للعامل الأصولي إلى جانب العامل السياسي لنشأة الفرق الإسلامية، فأحدهما بمثابة اللّحمة والآخر بمثابة السّدى، فماذا عن بقية العوامل ؟

(36) ن.م : 56/1.

III - العوامل الثقافية

يمكن أن تستفاد هذه العوامل من كتاب الملل خاصة من المقدمة الثالثة : " في بيان أول شبهة وقعت في الخليفة، ومن مصدرها في الأول، ومن مظهرها في الآخر " (37).

ومن موقف الشهرستاني من الذين يستبدون بالرأي ويخالفون النص. يقول : " إعلم أن أول شبهة وقعت في الخليفة : شبهة إبليس لعنه الله، مصدرها استبداده بالرأي في مقابلة النص... " " ... " وانشعبت من هذه الشبهة سبع شبهات، وسارت في الخليفة، وسرت في أذهان الناس حتى صارت مذاهب بدعة وضلالة، وتلك الشبهة مسطورة في شرح الأنجيل... ومذكورة في التوراة متفرقة على شكل مناظرات بينه وبين الملائكة بعد الأمر بالسجود والامتناع منه " (38).
« ... وكذلك لو تعقبنا أحوال المتقدمين منهم وجدناها مطابقة لأقوال المتأخرين ³⁸ مكرر. » ثم بين كيف استنقت الفرق الإسلامية من الأمم السابقة بعض آرائها انطلاقاً من شبهة إبليس للعين

(37) ن.م : 1/23-28.

(38) ن.م : 1/23.

³⁸ مكرر ن.م : 1/26.

ومن ذلك يقول : " وشبّه النبي صلى الله عليه وسلم كل فرقة ضالّة من هذه الأمة بأمة ضالّة من هذه الأمم السّالفة فقال : " القدرية مجوس هذه الأمة ". وقال : " المشبهة يهود هذه الأمة والرّافضة نصارها ". وقال عليه الصلاة والسلام جملة : " لتسلكن سبل الأمم قبلكم حذو القذّة بالقذّة (بضم القاف : ريش السهم) ، والنعل بالنّعل ، حتى لو دخلوا جحر ضبّ لدخلتموه " (39). ويقول أيضا : " ثم طالع بعد ذلك شيوخ

(39) ن.م : 27/1-28.

" القدرية مجوس هذه الأمة ". ورد هذا الحديث في الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح 10/3 عدد 798. بنص : " القدرية مجوس هذه الأمة إن مرضوا فلا تعودوهم ، وإن ماتوا فلا تصلوا عليهم ". رواه أبو داود في سننه عن حذيفة ولفظه : " لكل أمة مجوس ، ومجوس هذه الأمة الذين يقولون لا قدر إلخ... ومثّل حديث المسند في سنن أبي داود عن أبي عمر مع لفظ وإن مرضوا فلا تشهدوهم ، وذلك من باب القدر من السنن. وأنكر ابن حزم صحة هذا الحديث لطريق الإسناد لأن في سننه عن أبي داود جعفر بن الحارث وهو مطعون فيه. وأورده ابن الجوزي في الموضوعات. (عن المقدمة التبصير في الدين وهي لزاهد الكوثري: 4-5) أخذ عن تعليق عدد 9 : عمار الطالبي : الموجز 2/62.

- وجاء عند ابن ماجة مقدمة : 10، 25 بنص " إن مجوس هذه الأمة المكذبون بأقدار الله ". كما جاء بنص " ومجوس هذه الأمة ، أمّتي =

المعتزلة كتب الفلاسفة حين فسّرت أيام المأمون، فخلطت،
مناهجها بمناهج علم الكلام، وأفردتها فناً من فنون العلم،
وسمّتها باسم الكلام، إمّا لأنّ أظهر مسألة تكلموا فيها وتقاتلوا
عليها هي مسألة الكلام، فسمي النوع باسمها، وإمّا لمقابلاتهم
الفلاسفة في تسميتهم فناً من فنون علمهم بالمنطق، والمنطق
والكلام مترادفان⁽⁴⁰⁾.

ثم يحلّل مؤثرات الفكر الفلسفي خاصّة في الفكر
الاعتزالي على مختلف مراحل - ص 34-41 إلى أن يقول:
"وأما رونق علم الكلام فابتدأه من الخلفاء العباسية هارون
(809/193)، والمأمون(833/218)، والمعتصم (841/227)،

الذين يقولون لا قدر " عند الدارمي : سنة 16. عند ابن حنبل : 2، 15،
5، 407. وجاء الحديث حسب المعجم المفهرس بنص " إن مجوس هذه
الأمّة المكذبون بأقدار الله" عند ابن ماجّة : مقدّمة 10، 25. وجاء بنص "
ومجوس هذه الأمّة، أمّتي الذين يقولون لا قدر" عند الدارمي : سنة 16.
ابن حنبل : 2، 15، 5، 407.

- " المشبهة " : لم يرد في المعجم المفهرس.
- حديث " لتسلكن " جاء عند ابن حنبل : 4، 125. والضبط : حيوان من
الزحافات.

(40) ن.م : 41/1.

والوائق (847/232)، والمتوكّل (861/247)، وانتهأؤه من
الصّاحب بن عبّاد (996/385) وجماعة من الديّالمة⁽⁴¹⁾.

دون أن نغفل عن تأثير الفكر الفارسي، والفكر الهندي،
مع العلم أنّ كثيرا من علماء الكلام يرجعون إلى هذه الأوساط،
والشهرستاني نفسه من بينهم.

والمتأمل في مقالات الفرق الإسلامية في الإلهيات
والإنسانيات والرّساليات يلمس بوضوح تفاعلها مع هذه
التّقافات الدّخيلة إزاء التّعايش مع أصلي الشريعة، القرآن
الكريم والسّنة الشّريفة، والواقع الإسلامي، وتتمثّل هذه
التّقافات في ما يلي :

1) اللاهوت اليهودي والمسيحي :

وهذا ليس بغريب لأنّ القرآن والسّنة مفعمان بالإشارة
إلى هاتين الرّسالتين السّابقتين دون الغفلة عن بقيّة الرّسالات
والنبوّات السّابقة، وقد كان لها هي الأخرى أثرها في علم
الكلام، ومن أمثلة ذلك اليهود وقضيّة التجسيم، والنصاري
وقضيّة التّأليه، وقصّة آدم وإبليس وإلحاح الشهرستاني على أنّ

(41) ن.م : 43/1.

جميع بذور الافتراق واردة فيها لأنَّ منطلقها استبداده بالرأي ومعارضة للنص، "ولا يجوز أن تعدو شبهات فرق الزيف والكفر والضلال هذه الشبهات (شبهات إبليس السبع) وإن اختلفت العبارات، وتباينت الطُّرق، فإنَّها بالنسبة إلى أنواع الضلالات كالبنور، وترجع جملتها إلى إنكار الأمر بعد الاعتراف بالحق، وإلى الجنوح إلى الهوى في مقابلة النص" (42).

(2) الفلسفة اليونانية :

وهذه الفلسفة لها مفهومها الكامل للكون والخلق مع اعتماد كلي على العقل وكفر بالوحي، (لم تذكر هذه الفلسفة مسألة النبوة) ويتجلى هذا في تقديم المعتزلة للعقل على النقل واعتباره حجة الله على الخلق وما نتج عن ذلك من ردود الفرق الأخرى بأن حجة الله على الناس الرسل.

(3) الفكر الفارسي الغنوصي :

وهو يعتمد اعتمادا كبيرا على الباطن على حساب الظاهر، مع القول بالرجعة والمهدي المنتظر وما إلى ذلك،

(42) ن.م : 25/1.

ويتجلى هذا في مواقف الشيعة الخاصة من الإمامة وما نتج عنها من ردود فعل لدى الفرق الأخرى.

(4) الفكر الهندي :

وقد اشتهر بالزهد والتصوف والقول بالتناسخ، ونلمس هذا التأثير لدى الصفاتية وجنوحهم إلى التصوف إلى حد المغالاة فيه، ولدى الشيعة ومدى استغلالهم لقضية التناسخ والتوسع فيها، وما نتج عن ذلك من ردود فعل.

واضح إذن أن للعوامل الثقافية دوراً فعالاً في الاختلاف في وجهات النظر في فهم المتشابه وإرجاعه إلى المحكم من كتاب الله العزيز، فمن واقف عند النصوص، ومن مكتف بالظاهر، ومن داع إلى إعمال العقل بالتأويل دون الخروج عن قواعد الشرع وعن قواعد اللغة، ومن معتبر من المواقف التي انبثقت منها نظم فكرية متكاملة تبنتها فرق تآلفت فيما بينها حيناً، وتناظرت أخرى، وتقاتلت في أغلب الأحوال، وكلّ تعتبر أنّها الفرقة الناجية وأنّ الفرق الأخرى هلكى.

IV - العوامل الاجتماعية

لم يول الشهرستاني هذا العامل نفس الأهمية التي أولاهها للعوامل السابقة وإنما أوردته عرضاً، ويمكن أن يستنتج ضمناً خاصة من المقدمة الرابعة حيث بين المراحل التي تدرّجت بالأمّة نحو الاختلاف، من زمن الرسول صلى الله عليه وسلم إلى ما عرف بالفتنة الكبرى، وحصر الشهرستاني هذه المراحل في عشر : ومن أراد التوسع في القضية فليطالع الكتب التي ألفت في : الخلافة والملك وقد حلّت القضية غالباً من وجهة سياسية، وكتاب إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي الجزء الأول. وقد حلّ القضية تحليلاً تاريخياً.

والملاحظ بجلاء أن تركيبة المجتمع الإسلامي قد تعقّدت شيئاً فشيئاً فبعد أن كان العرب منعزلين عن بقية النّاس وحّد الإسلام بين كلّ من اعتنقه قال تعالى : ﴿ يا أيها النّاس إنّنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم إنّ الله عليم خبير ﴾ [49الحجرات 13].

ولقد بين الرسول عليه السلام ما وراء العصبية من شر على المجتمع فقال : " دعوها إنها منتنة " (44). وفعلت آلف المسلمون في ظل الرسالة لا فرق بين عربي وعجمي إلا بالتقوى، وكذا كان الأمر زمن أبي بكر وعمر وست سنوات من خلافة عثمان، إلا أن اتساع الفتوحات وتفرق الصحابة واختلاط الأجناس ممن كانوا حديثي عهد بالإسلام، ومن المندسين في المجتمع الإسلامي ليفسدوا على المسلمين أمرهم عندما عجزوا عن التصدي لفتوحاتهم أدى إلى تصدع بناء هذا المجتمع.

ولقد ألح الشهرستاني في الخلاف التاسع على ما كان من تأثير في افتراق المسلمين نتيجة ما حدث من تقوية للعصبية الأموية في المرحلة الأخيرة من خلافة عثمان فقل : " وانتظم الأمر واستمرت الدعوة في زمانه... غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابة (جمع نهيرة وهي المهلكة) فركبته، وجاروا فجبر عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة وأخذوا عليه أحداثا كلها محالة على بني أمية " (44).

(44) " دعوها إنها منتنة " : لم يرد في المعجم المفهرس.

(44) انظر ما سبق وما يلي. ملل : 34/1.

والمتملّ في الخلاف العاشر، وهو يلخص انطلاق
الفتنة الكبرى وتأجّجها، يتبيّن أنّ لتداخل الأجناس دوراً فعّالاً
في اشتعال تلكم الأحداث، فالصّراع كان واضحاً بين عرب
الشام وعرب العراق ومن انضمّ إلى الطّرفين من الموالي :

فالعلوّية عربية هاشميّة ثمّ أزرها الموالي من الفرس.

والأمويّة (المرجئة) : عصبيّة عربية أمويّة، وما أن
رجحت كفتهم بالمكر والدّهاء حتى اضطهدوا بقيّة الأجناس في
خراسان وإفريقية.

انفصال المحكّمة وجلّهم من عرب تميم، وسرعان ما
انضمّ إليهم عديد من الموالي بالبصرة.

وبهذا نتبيّن أنّ صراع العصبيّات كان مغذياً للافتراق،
وانقسم المجتمع إلى ثلاث تيارات كبرى :

تيار أمويّ تغذّيه العصبيّة العربيّة، دان بالإرجاء
والجبريّة، وهم نواة الصّفاتيّة أو ما عرف بأهل السّنة ثمّ
الأشعريّة والماتريديّة.

تيار علويّ أرومته عربيّة من آل البيت، وجد في
العنصر الفارسي أحسن مناصر، مع إدخال الفكر الباطني

المتأصل عند العجم، الأمر الذي أدّى إلى ما ينسب إلى عديد من الفرق من الغلوّ في شأن الإمام علي، وانصهر معهم تيّار أهل العدل والتوحيد عرباً وموالي.

تيّار المحكّمة منطلقه ألاّ فرق في الإمامة بين عربي وعجمي إذا استويا في التّقوى والصّلاح، عصبية عربية انضمت إليها العناصر المضطّهدة، وبرز نجم هذا التيّار خاصّة في المغرب مع البربر الذين أذاقهم ولادة بني أمية من العذاب أصنافاً.

- أمّا عن الصّراع بين الخاصّة والعامة (الطبقات) فقد استطاع البلاط الأموي أن يغلب التيّار العربي وما انبثق عنه من فرق.

كما أنّ العناصر الأخرى قد بذلت كل جهدها للإطاحة بالدولة الأموية ومن ساندتها، وقد كانت ضربات العلويين والمحكّمة من أكبر العوامل لإنهاء الحكم الأموي ليخلفه التيّار الهاشمي العبّاسي، ونحن نعلم أنّه قام على العصبية الفارسية مع أبي مسلم الخراساني (755/137).

والملاحظ كما أشرنا آنفاً أن للتركيب الاجتماعي المتداخلة دوراً فعّالاً في إذكاء روح الافتراق إلاّ أنّ

الشهرستاني لم يول هذا العامل من الأهمية ما يستحق،
والحقيقة أنَّ هذا دور المؤرِّخ خاصَّة، واستقصاء الأخبار في
كتب التاريخ يمكن من زيادة التوسُّع في التعرف على هذا
العامل.

٧- العوامل الماليَّة

لم تكن عقلية أهل القرن السادس هجري/12م تضع هذه
العوامل في المقدِّمة كما تعتبرها بعض المدارس المادية الحديثة
والمعاصرة، لكن مع ذلك لا يخلو كتاب الملل والنحل من
بعض الإشارات التي تبين ما لوفرة الأموال من تأثير في
التحوُّل الفكري للأمة.

يذكر الشهرستاني في المقدِّمة الرابعة، الخلاف
السادس: في أمر فذك⁽⁴⁵⁾ والتَّوارث عن النبي عليه الصلاة
والسلام، ودعوى فاطمة (732/11) عليها السلام وراثه تارة،

⁽⁴⁵⁾ فذك : قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان كانت لليهود،
أفأها الله على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة 239/7
صلحا فكان ينفق منها على نفسه وعلى بعض المحتاجين من بني
هاشم. ياقوت الحموي معجم البلدان دار صادر. 238/4.

وتمليكا أخرى حتى دفعت عن ذلك بالرواية المشهورة عن النبي عليه الصلاة والسلام : " نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة " (46).

كان يمكن أن تكون هذه القضية المالية مثارا للنزاع ومنطلقا للافتراق لولا أن النص كان قطعياً، إذ دفع فاطمة إلى الامتثال، وفصل الأمر.

ثم يذكر الشهرستاني أن الأموال كانت سببا لإثارة الخلاف السابع ضمن الشبه التي وقعت في الملة الإسلامية : " في قتال ما نعي الزكاة، فقال القوم : لا نقاتلهم قتال الكفرة. وقال قوم بل نقاتلهم حتى قال أبو بكر رضي الله عنه : لو منعوني عقالا ممّا أعطوا الرسول صلى الله عليه وسلم لقاتلتهم عليه، ومضى بنفسه إلى قتالهم، ووافقته بعد ذلك الصحابة بأسرهم 46 مكرر".

(46) الملل. 32/1-33.

- حديث " نحن معاشر الأنبياء " : البخاري : اعتصام 5، خمس 1، نفقات 3، فضائل الصحابة 12، فرائض 3. مسلم : جهاد 51، 52، 54، 56. النسائي : فيء. الدارمي : كلام 27. أحمد بن حنبل : 1، 6.

46 مكرر الملل : 33/1

وإننا نعلم ما أحدثته حروب الردّة من تصدّع في المجتمع الإسلامي الناشئ لولا موقف أبي بكر الحازم الذي ضرب المرتدين بدون هوادة، ونصيب منهم كانت ردّتهم من أجل قضية مالية هي ركن من أركان الإسلام، وقد استطاع عمر أن ينقّص من تلك الحدة في مطلع خلافته "برّد السّبايا والأموال إلى أصحابها، وإطلاق المحبوسين"⁽⁴⁷⁾، وبذلك انتهى أثر ذلك التصدّع الكبير الأوّل، ولم يترك أثرا في افتراق المسلمين.

ولم يغفل الشهرستاني في الخلافة الثامن عن ملاحظة تدفّق الأموال على المسلمين ممّا عرفوه من فتوحات زمن عمر ابن الخطاب : " وفتح الله على المسلمين، وكثرت السّبايا والغنائم"⁽⁴⁸⁾، وكتب التّاريخ تذكر موقف عمر ممّا تجمع من هذه الأموال حيث بكى معتبرا مستحضرا كيف أنّ الرسول عليه السلام كان يخشى على هذه الأمة من أن تفتن بكثرة الأموال فتتنسى ذكر الله تعالى، فعلا استطاع عمر أن يمتلك زمام الأمور بما أوتي من هيبة : " وكانوا كلّهم يصدرون عن

(47) ن.م : 33/1.

(48) ن.م : 34/1.

رأي عمر رضي الله عنه، وانتشرت الدعوة، وظهرت الكلمة، ودانت العرب، ولانت العجم⁽⁴⁹⁾.

ثم إن الوضع تحوّل بعد خلافته بسنوات قلائل.

وهذا ما ضبطه صاحب الملل في الخلاف التاسع حيث ألحّ على ما كان لكثرة الأموال من فتنة إزاء ما ذكرناه من قبل من تغليب العصبية الأموية على غيرها فما هو يقول: " وكثرت الفتوح، وامتلاً بيت المال، وعاشر [عثمان] الخلق على أحسن خلق، وعاملهم بأبسط يد، غير أن أقاربه من بني أمية قد ركبوا نهابر فركبته، وجاروا فجير عليه، ووقعت في زمانه اختلافات كثيرة، وأخذوا عليه أحداثاً كلّها محالة على بني أمية... منها تسليمه خمس غنائم إفريقية له (مروان بن الحكم بعد أن زوّجه ابنته) وقد بلغت مائتي ألف دينار⁽⁵⁰⁾ .

والمتملّ في كتب التاريخ إزاء ما ذكره الشهرستاني يتبيّن أن من أهمّ المآخذ التي كانت سبباً في حادثة الدار ومقتل عثمان ما لوحظ على عمّال عثمان من حيف في شأن ما تجمع لديهم من أموال.

(49) ن.م : 34/1.

(50) ن.م : 34/1 تكرار النص فرضته المنهجية.

وإن اكتفى الشهرستاني بمجرد الملاحظة للعامل المالي فإننا يمكن أن نستنتج أن توفر مثل هذه المقادير الطائلة من الأموال ورث ثراء فاحشا لدى طائفة من الناس على حساب جماعة أخرى، وهذا قد عمل على إذكاء روح الافتراق - مع انصهاره مع العوامل الأخرى السياسية والأصولية والثقافية والاجتماعية - مع العلم أن المجموعات التي لم تتل نصيبها من هذه الأموال بل غنمت أموالها في كثير من الأحوال انتظمت تحت لواء من دعاها إلى رد المظالم - على أساس عقدي - وهذا ما حدث في ما عرف بحادثة الدار، وما حدث بصفة عملية جليلة بالنسبة إلى مؤازرة العنصر الفارسي للعلويين والعباسيين، وإلى مؤازرة البربر للمحكمة صفوية وإباضية ضد الأمويين ثم العباسيين.

وخلاصة القول إنه يستحيل الفصل بين هذه العوامل في الواقع لأنها لا تكون إلا متداخلة متشابكة، لكننا حاولنا أن نفصل بينها في هذا البحث فصلا منهجيا، وقد يسر لنا هذا الفصل وضوح الرؤية انطلاقا من كتاب الملل، وقد اتضح بصفة جليلة أن الشهرستاني قد أولى اهتماما أساسيا للعامل السياسي والعامل الأصولي لكنه مع ذلك لم يغفل عن العوامل

الثقافية والاجتماعية والمالية. وبهذا يعتبر كتاب الملل والنحل وثيقة مهمة للتأريخ لنشأة الفرق الإسلامية وتحديد عواملها. فماذا عن تسمية هذه الفرق وألقابها ؟

المبحث الثاني قضية تسميات الفرق والقبائل

تمهيد

إذا قلنا قضية معنى ذلك أن هناك خصومة، فهل هي تسميات أم ألقاب؟ وهل يمكن أن نضع حدوداً فاصلة بين هذين الطرفين المتناقضين؟

أما عن علاقة التسمية بالنشأة، فإن الواقع يثبت أن النشأة متقدمة على التسمية ذلك أن أئمة الفرق لا يمكن أن يتضح تنظيرهم إلا بعد أن تبرز الفرقة للوجود بعامل من العوامل أو بالعوامل متشابكة.

واعتماداً على القواعد الأصولية الأربع يعتبر الشهرستاني أن كبار الفرق أربع: القدرية، الصفتية، الخوارج والشيعة. ففهم من هذا النص أنها تسميات، لكن المؤلف لم يغفل عن ذكر الألقاب فمن ذلك يقول عن المعتزلة: "ويسمون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية" (51). معنى ذلك أننا لا نفتعل هذه القضية وإنما هي واردة عند الشهرستاني وإن لم تكن في منتهى الوضوح. كما نذكر بأن الأمة الإسلامية قد افترقت بعد معركة صفين سنة (657/37) إلى ثلاثة اتجاهات: جماعة مع علي بن أبي طالب. وجماعة مع

(51) ن.م : 56/1.

معاوية. وجماعة لا مع هذا ولا مع ذاك عرفت بلا حكم إلا
الله وتقديما عبد الله بن وهب الراسبي للإمامة. فما الذي
حول الأمر إلى التسميات التي تبناها الشهرستاني ؟

* عبد الله بن وهب الراسبي (9 صفر 17/38 جوان 658) : هو عبد الله بن
وهب بن راسب بن يدعان بن مالك بن نصر من الأزد. وهي قبيلة
نزلت البصرة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم، وشارك في فتوح
العراق بقيادة سعد بن أبي وقاص (674/55). كان من أنصار علي في
حروبه، ثم أنكر التحكيم. بايعته المحكمة عندما ثبتت خدعة الحكمين في
(20 شعبان 31/37 جانفي 658). فطلب منهم علي الرجوع للمناصرة إلا
أنهم استنابوه وطلبوا منه الدخول في ما دخل فيه المسلمون.

- وجاء في رسالة المحكمة إلى علي بن أبي طالب : "... إن كنت
صادقا فادخل في ما دخل فيه المسلمون من طاعة الله وطاعة
رسوله وطاعة إمام المسلمين عبد الله بن وهب الراسبي، فقد بايعناه
بعد خلعتنا إياك لاستحقاقك منا أن نخلعك ولا وسع إلا ذلك والسلام".
سرحان الأركوي : كشف الغمة، ورقة 281.

- وقتله في معركة النهروان هاني بن خطاب الأرحبي وزبيد بن حفصة
في 9 صفر 17/38 جوان 658. ويعتبره الإباضية من أئمتهم. ر.
الدرجيني: الطبقات 2/210. الشماخي : السير : 5. ر. عمار الطالبي:
آراء الخوارج الكلامية 1/88-98. وقد توسع في ترجمته. ويقول
الزركلي : " من أئمة الإباضية، كان ذا علم ورأي وفصاحة
وشجاعة وكان عجا في العبارة. أدرك النبي صلى الله عليه وسلم.
الأعلام : 4/288.

1- أنصار معاوية : إن كان الخروج سياسيًا فإن جماعة معاوية هم ثاني من ينبغي أن يطلق عليهم اسم الخوارج بعد طلحة (656/36)، والزبير (656/36) في معركة الجمل (657/36)، لكن الأمويين وبيدهم السلطة اختاروا لأنفسهم التسميات التي تتماشى ومبدأ الحكم الوراثي، فانبثقت تسميات الإرجاء والجبر:

أما الإرجاء فقد بين الشَّهرستاني أنه يرجع إلى معنيين: أولهما تأخير العمل على النية، وثانيهما الإقرار بأنه لا تضر مع الإيمان معصية كما لا تنفع مع الكفر طاعة حيث يقول : " الإرجاء على معنيين : أحدهما بمعنى التأخير كما في قوله تعالى : ﴿ قالوا أرجه وأخاه ﴾ [7 الأعراف 111]، والثاني : إعطاء الرجاء. أما إطلاق اسم المرجئة على الجماعة بالمعنى الأول فصحيح. لأنهم كانوا يؤخرون العمل على النية والعقد. وأما بالمعنى الثاني فظاهر، فإنهم كانوا يقولون : لا تضر مع الإيمان معصية، كما لا تنفع مع الكفر طاعة " (52).

ثم يذكر الشَّهرستاني أبرز من دانوا بالإرجاء من فقهاء الأمة فيقول : " تنمَّ رجال المرجئة كما نقل : الحسن بن محمد

(52) ن.م : 161-162.

ابن علي بن أبي طالب (718/100)، سعيد بن جبير الأسدي (714/95)، وطلق بن حبيب [مات بين 90 و 100 / 708 و 718]، وعمر بن مرة (737/118) ومحارب بن زياد (734/116)، ومقاتل بن سليمان (767/150) وذو بن عبد الله الهمداني (700/80)، وعمر بن ذر (804/189)، وحماد بن أبي سليمان (738/120)، وأبو حنيفة (768/150) وأبو يوسف (738/182)، ومحمد بن الحسن (804/189)، وقديد بن جعفر. وهؤلاء كلهم أئمة الحديث، لم يكفروا أصحاب الكبائر بالكبيرة ولم يحكموا بتخليدهم في النار خلافا للخوارج والقدريّة⁽⁵³⁾.

وأما الجبريّة : فيتعرض لهم الشهرستاني أثناء الحديث عن القدريّة ليقوم تقابلا بين الطرفين. " على أن الجبريّة

(53) ن.م : 169/168.

- **الإرجاء :** يسمى القائلون بالإرجاء المرجئة من الفرق الإسلامية المتقدمة في الزمن ويذكر ونسينك مختلف أقوال كتاب المقالات في شأن الإرجاء. ومن أسس المرجئة أنه لا يضر مع الإيمان معصية وأن طاعة الإمام الجائر واجبة فلا ثورة ولا خروج، ويرجون النجاة لكل المؤمنين يوم القيامة وإن ماتوا على المعصية ولذلك سموا بأهل الوعد على عكس المعتزلة الذين سموا بأهل الوعيد. ر. محمد الطالبي : الإرجاء، دراسات في تاريخ إفريقية. منشورات الجامعة التونسية المطبعة الرسمية تونس 1982. 359- ر. 184 374 tome 3. cf. EII

والقدريّة متقابلتان تقابل التّضادّ⁽⁵⁴⁾ ، كما يعرف الجبر بما يلي: "هو نفي الفعل حقيقة عن العبد وإضافته إلى الربّ تعالى"⁽⁵⁵⁾ . وقد عرف معاوية وجماعته بالجبريّة لقولهم بأنّ الإنسان لا اختيار له. ونلاحظ حينئذ أنّ القول بالإرجاء والجبر تبريرا لكيان الدّولة الأمويّة. كلّ هذا لا يضعه الشّهريّ في إطاره التّاريخي بصورة واضحة وإنّما يكتفي بذكر الصّفاتيّة ، ويعود إليها عدّة مرّات ليتدرّج بها إلى أنّهم السّلف ثمّ أهل السّنة ثمّ الأشاعرة. وفي ذلك يقول : " وكان بين المعتزلة وبين السّلف في كلّ زمان اختلافات في الصّفات ، وكان السّلف يناظرونهم عليها لا على قانون كلامي ، بل على قول إقناعي ويسمّون الصّفاتيّة "⁽⁵⁶⁾ . ثمّ يقول عن الأشعريّ (942/330) الذي كان معتزليّا " وجرت مناظرة بين أبي الحسن

(54) ن.م : 56/1.

- الجبريّة : الجبريّة أو المجبرة تسمية أطلقت على إحدى الفرق الإسلاميّة من قبل خصومهم على أساس أنّهم يقولون بأنّ حركة الإنسان كحركة الشمس لا دخل للإنسان فيها، فهو مجبر. وهي الفرقة المقابلة للقدريّة أو المعتزلة التي تقول بحريّة الإنسان.

ر . EI₂ tome2. P 375

(55) ن.م : 97/1.

(56) ن.م : 44/1.

علي بن إسماعيل الأشعري، وبين أستاذه أبي علي الجبائي (916/303) في بعض مسائل التحسين والتقييح، فالزم الأشعري أستاذه أمورا لم يخرج عنها بجواب فأعرض عنه وانحاز إلى طائفة السلف ونصر مذهبهم على قاعدة كلامية، فصار ذلك مذهبا منفردا⁽⁵⁷⁾. كما يقول: "ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون، سمي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة"⁽⁵⁸⁾. ثم يقول: "أما السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل، ولا تهدقوا لتشبيه فمنهم مالك بن أنس رضي الله عنه

(57) ن.م : 44/1.

- أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (942/330) : من نسل الصحابي أبي موسى الأشعري. مؤسس مذهب الأشاعرة. كان من الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة. وتلقى مذهب المعتزلة وتقدم فيهم، ثم رجع وجهر بخلافهم توفي ببغداد. من أهم مؤلفاته : "مقالات الإسلاميين" ط جرآن. "الإبانة عن أصول الديانة" ط. اللّمع في الرد على أهل الزيغ والبدع. ط.ر. الزركلي: الأعلام 263/4.

- محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي (أبو علي) (235-849/303) : من أئمة المعتزلة. ورئيس علماء الكلام في عصره. وإليه نسبت الطائفة «الجبائية» له مقالات وآراء انفرد بها في المذهب. نسبته إلى جبّي من قرى البصرة. اشتهر في البصرة، ودفن بجبّي. له «تفسير» حافل مطول، ردّ عليه الأشعري. ر. الزركلي : الأعلام 256/6.

(58) ن.م : 104/1.

(795/179)، إذ قال : الاستواء معلوم، والكيفيّة مجهولة، والإيمان به واجب، والسؤال عنه بدعة. ومثل أحمد بن حنبل رحمه الله. وسفيان الثوري. وداود بن علي الأصبهاني ومن تبعهم⁽⁵⁹⁾. ثم يختم حديثه عن الصفاتية عامّة قبل أن يتحوّل إلى التفصيل بما يلي: "... وانحاز الأشعري إلى هذه الطائفة (السلف) فأيد مقالتهم بمناهج كلاميّة، وصار مذهباً لأهل السنّة والجماعة، وانتقلت سمة الصفاتية إلى الأشعرية⁽⁶⁰⁾."

فواضح إذن أن الشهرستاني تدرّج تدرّجاً مرناً عبر كتاب الملل في تسمية هذه الفرقة ليصل بها إلى أحسن الأسماء " أهل السنّة والجماعة " وذلك ليربط هذه الفرقة التي ينتمي إليها بحديث الرّسول صلى الله عليه وسلّم والذي ذكر أنّها الفرقة الناجية.

وينبغي أن نلاحظ أن الشهرستاني غفل أو تغافل عن الإشارة إلى أمرين ذكرا عن الأطراف المقابلة يحدّدان معنى " السنّة " في هذه التسمية :

⁽⁵⁹⁾ ن.م : 105/1.

⁽⁶⁰⁾ ن.م : 106/1.

فالعلويون لا يعتبرونها سنة الرسول عليه الصلاة والسلام، ولكن يعتبرونها السنة التي أقامها معاوية وهي متمثلة في لعن الإمام علي في خطب الجمعة، ولم تبطل هذه العادة إلا مع عمر بن عبد العزيز (760/101)، وبهذا انقلب الأمر من التمدح إلى الذم.

أما " الجماعة " فهي أيضا تتحوّل إلى شيء من الذمّ ذلك أنها تذكر باضطرار الإمام الحسن بن علي* إلى التخلّي لمعاوية سنة [661/40] فسمّي العام عام الجماعة، والعلويون

* - الحسن بن علي بن أبي طالب الهاشمي القرشي (أبو محمد) (3-624/50-670) : ثاني الأئمة الاثني عشر عند الإمامية. ولد في المدينة المنورة، وأمّه فاطمة الزهراء بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو أكبر أولادها وأولهم. غزا أصبهان. بايعه أهل العراق بالخلافة بعد مقتل أبيه سنة 660/40. انطلق لحرب معاوية ثم اختار الصلح، فخلع الحسن نفسه من الخلافة وسلم الأمر لمعاوية في بيت المقدس سنة 661/41، وسمّي هذا العام «عام الجماعة» لاجتماع كلمة المسلمين فيه. استقر بعد ذلك في المدينة حيث توفي سنة 670/50 وقيل قتل مسموما. مدّة خلافته ستة أشهر وخمسة أيام. وإليه ينسب الحسينيون. نقش خاتمه : " الله أكبر وبه أستعين ". ر. الزركلي : الأعلام 199/2-200.

يعتبرون أحيّة الإمام الحسن في الخلافة ولكنّ معاوية قلبها لصالحه وسمّى العام عام الجماعة.

بهذا يتّضح في النهاية أنّ النزعة العاطفيّة لعبت دورا مع نفوذ السلطان ليكون التّيار الأموي - عند الشهرستاني - هو الممثل للسلّف، وبما أنّهم يثبتون الصّفات فهم صفاتيّة ومن هناك صاروا أهل السنّة والجماعة، وليكونوا في النهاية أشعريّة. كما أنّ هذا السلطان سلّط حربا نفسيّة على بقيّة الفرق المناوئة لسلطانه ويتجلّى هذا في الألقاب التي لُقبت بها هذه الفرق والتي تبناها الشهرستاني بكلّ بساطة.

2- جماعة علي : إن وجدنا عند الشهرستاني تدرّجا في تحويل تسمية جماعة معاوية فإنّ الأمر يختلف بالنسبة إلى جماعة الإمام علي ذلك أنّ الشهرستاني يتّفق مع كتب الفرق المنتمية لجماعة علي والمخالفة لها على أنّ هذه الكتلة قبلت من المنطلق تسميتها بالشيعة، ولم تر في ذلك أيّ ضرر رغم ما نجد في المدلول اللّغوي لهذه اللفظة من معنى التّعصّب والانغلاق، ولهذا لا نجد إشكالا بالنسبة إلى تسمية هذه المجموعة، وقد استمرّت إلى يومنا هذا تتبنّى هذه التسمية بل تعترّ بها وتعتبرها أساسا من أسس الدّفاع عن كيانهما لأنّها ترى

من خلالها ارتباطا وثيقا بآل البيت، ومثل هذا الارتباط جعل هذه الفرقة تعتبر أنها أقرب الفرق إلى رسول الله صلى الله عليه عليه وسلم فهي إذن أصح الفرق وهي الفرقة الناجية

3- المحكّمة : إنّ الشّهْرستاني، وإن ذكر كلمة المحكّمة فإنّه يعتبر أنّ التّسمية التّاريخية لهذه الفرقة إنّما هي الخوارج، وأشار إلى أنّ منطلقهم يعود إلى ذلكم الرّجل الذي اعترض على رسول الله صلى الله عليه وسلم عند قسمة الغنائم : " اعتبر حديث ذي الخويصرة التّميمي إذ قال : اعدل يا محمد فإنّك لم تعدل، حتّى قال عليه السّلام : " إن لم أعدل فمن يعدل ؟ " ثمّ عاد اللّعين وقال : " هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى " . ثمّ يعلّق الشّهْرستاني فيقول : " وذلك خروج صريح على النّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ولو صار من اعترض على الإمام الحقّ خارجيا، فمن اعترض على الرّسول الحقّ أولى أن يصير خارجيا، أو ليس ذلك قولاً بنحسين العقل وتقبيحه وحكما بالهوى في مقابلة النّصر، واستكبارا على الأمر بقياس العقل ؟ حتّى قال عليه السّلام : سيخرج من ضئضئ هذا الرّجل قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يتجاوز حناجرهم...

يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية لئن أدركتهم
لأقتلنهم قتل ثمود» (61) .

(61) ن.م : 28/1-29. والحديث في مسلم 3 : 111.

- حرقوص بن زهير السعدي (657/37) : الملقب بذي الخويصرة :
صحابي، من بني تميم. خاصم الزبير فأمر النبي صلى الله عليه
وسلم باستيفاء حقه منه. وأمره عمر بن الخطاب بقتال «الهرمزان»
فاستولى على سوق الأهواز ونزل بها. ثم شهد صفين مع علي.
وبعد الحكمين صار من أشد الخوارج على علي، فقتل فيمن قتل
بالنهروان. وفي سيرته اضطراب.

- وإياه عنى أحد شعراء الخوارج، بقوله من أبيات رواها المبرد :

وأسأل الله بيع النفس محتسبا حتى ألاقي في الفردوس حرقوصا

ر. الزركلي : الأعلام 173/2. لم يذكر الزركلي الدرجيني ضمن
مراجعته. لكنه أثبت اضطراب الأخبار في سيرته. معنى ذلك أنه لم
يرو عنه إلا ما اقتنع بصحته.

- أمّا الدرجيني الذي يعتبر حرقوص بن زهير السعدي من الطبقة
الأولى من طبقات الإباضية مع عبد الله بن وهب الراسبي وهما من
الجزر المشترك مع المحكمة فيدافع عن حرقوص كما يلي :
" وحرقوص هذا هو الذي انتحلت فيه أحاديث لا يبعد أن تكون
مصنوعة فإن فيها ما يدل على سقمها لتناقض ميثوتها، ولكن أكثرها
منتحل، ورواها على طرق.

- فمنها ما نسب إليه أنه قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقسم غنائم خيبر « ما عدلت منذ اليوم » فغضب رسول الله صلى

اللَّهِ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال عمر : "أَلَا أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؟" فَقَالَ : "إِنَّهُ
يَكُونُ لِهَذَا أَوْ لِأَصْحَابِهِ نَبَأٌ ."

- ومنها ما نسب إليه أنه لما قال ذلك لرسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ،
قال : " وَيْحَكَ فَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ " ؟ ثُمَّ قَالَ لِأَصْحَابِهِ وَاحِدًا بَعْدَ
وَاحِدٍ : " أَيُّكُمْ يَقْتُلُهُ ؟ " فَقَالَ لَهُ الْأَوَّلُ : " وَجَدْتُهُ رَاكِعًا " . وَقَالَ الثَّانِي :
" وَجَدْتُهُ سَاجِدًا " ، وَقَالَ الثَّلَاثُ : " لَمْ أَجِدْهُ " ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى
اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَوْ قُتِلَ هَذَا مَا اخْتَلَفَ فِي اللَّهِ اثْنَانِ " .

- ومنها أنه قال وقد قسم رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم ما لا ورد عليه
بين أربعة من المؤلفة قلوبهم ، فزعموا أنه قال : " لَقَدْ رَأَيْتُ قِسْمَةَ لَا
أُرِيدُ بِهَا وَجْهَ اللَّهِ " ، فغضب رسول الله صَلَّى الله عليه وسلم حَتَّى
تَوَرَّدَ خَدَاهُ ، ثُمَّ قَالَ : " أَمَتَنِي اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ وَلَا تَوَمَّنَنِي " ؟ !
فَقَامَ عَلَيْهِ عُمَرُ رَحِمَهُ اللَّهُ ، فَقَالَ : " أَلَا أَقْتُلُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ " ؟ فَقَالَ :
" سَيَكُونُ مِنْ ضَيْضِي هَذَا أَقْوَامٌ تَحْقِرُونَ صَلَاتَكُمْ مَعَ صَلَاتِهِمْ ،
وَصِيَامَكُمْ مَعَ صِيَامِهِمْ ، يَقْرَأُونَ الْقُرْآنَ لَا يَتَجَاوَزُ حَنَاجِرَهُمْ يَمْرُقُونَ
مِنَ الدِّينِ - إِلَى قَوْلِهِ - وَتَتَمَارَى فِي الْفُوقِ " .

ففي هذه الأخبار دلائل على سقمها من أوجه كثيرة :
أحدها : أنه لو صح عنه أنه غير عدل إذ قال ما عدلت منذ اليوم ، ما
آمن به ولا أقام على دينه ، ولا صَلَّى إلى قبلته أحد .
والثاني : لو صح عنه صَلَّى الله عليه وسلم أنه خاضر بالطعن في
النبوة لما أهمله ، وكان هو المبتدئ إلى قتله ولم يكنه إلى غيره .
الثالث : أنه لو صح ذلك عند عمر رضي الله عنه وأنه من الملمورين
بقتله . وأعلمه أنه مارق من الدين فكيف يستعين به على الجهاد ، =

وهو أعظم أركان الدّين، فيجعله أميراً على جنوده المؤمنين، وظهره
على قتال الكافرين.

الرّابع : أنّه لو صحّ عند أصحاب رسول الله صلّى الله عليه وسلّم أنّه
قال ذلك وأنهم مأمورون بقتله لم يترأخوا في قتله، بل يجعلونه أوكد
فرائضهم، فكيف تسامحوا حتّى خرج ثمّ لم يكثرثوا به.
الخامس : أنّه صلّى الله عليه وسلّم منزّه عن أن ينسب إلى كلامه الغلوّ
والمجازفة، حتّى يقول لو قتل هذا ما اختلف في الله اثنان فيلزم على
هذا أن تكون حياة حرقوص سبباً لكفر اليهود والنصارى، والصّابيين
والمجوس، وعبدّة الأوثان، والمعطلّة والزنادقة وغيرهم، وهذا من
المحال الذي ينكره الحسّ ويأباه العقل ويقوى الدليل على بطلانه، إذ
لو شاء ربّك لآمن من في الأرض كلّهم جميعاً، وحرقوص حيّاً ولو
شاء لضلّوا جميعاً قبل وجود حرقوص وبعد موته، لكنهم ﴿ ولا
يزالون مختلفين إلّا من رحم ربّك ولذلك خلقهم ﴾ [11 هود 118] فقد
اتّفقوا واختلفوا، وبينهم من هو خير من حرقوص وهو رسول الله
صلّى الله عليه وسلّم، كما اتّفقوا واختلفوا وفيهم شرّ منه وهو أبو
جهل، لعنه الله، فهذا يبعد أن يكون من كلام من لا ينطق عن
الهوى.

السادس : أنّه قد شهد من ضئضه من حرق القرآن قلبه، وصدع كبده
فضلاً عن مجاوزة الحنجرة، أعنى في العمل به والامتثال لأوامره،
والانتهاء عن مناهيه.

السّابع : ذكر المروق. فأريك أعلم بالمارق. وباللصّ السّارق، وقد حقّق
كثير منهم ممّن عامل بالإنصاف أنّ القوم إنّما قاتلوا هروباً =

من اتباع الهوى وإطراحا لزهرة الحياة الدنيا ورغبة فيما يرجونه عند الله في الدار الآخرة.

وفيها أدلة كثيرة غير ما ذكرناه، فحرقوص مبرأ مما قالوه، ومما إليه نسبوا". أبو العباس أحمد الدرجيني (1271/670) : طبقات المشائخ بالمغرب. تحقيق إبراهيم طلاي. مطبعة البعث. قسنطينة. الجزائر. 203/2-204.

- أما عن الحديث فقد جاء برواية أخرى : « إنه سيكون من ضئضى هذا قوم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية تنظر في النصل فلا ترى شيئا وتتنظر من الرصاص فلا ترى شيئا وتتمارى في الفوق".

- الرصافة : عقبة تشد على مدخل سنخ النصل. ج رصائف. ويقال رصف السهم أي شد عليه رصافة.

- الفوق : من السهم : حيث يثبت السهم منه، وهما فوقان ج فوق وأفواق. ويقول عليه السلام : « من ضئضى هذا » - من جنس هذا - مرق السهم من الرمية، إذا نفذ منها، وأكثر ما يكون ذلك أن لا يعلق به من دمها شيء ». المبرد : الكامل 142/2.

- وقد بين السالمي أن الحديث ورد في البخاري مع ما بين النصين من اختلاف وبراه من الكذب إلا أنه أشار إلى أنه « يأخذ عن أهل الأهواء ». شرح الجامع الصحيح 57/1.

- ثم أورد نصوصا من سير الشماخي والسير العمانية في التناء على أهل النهروان وألح على أن المخالفين (غير الإباضية يروون أحاديث غير صحيحة أو يتأولون). =

ثم يبين عند حديثه عن معركة صفين أن من جاؤوا من صلب هذا الرجل اعترضوا على التحكيم فاعتبروا خوارج " هم الذين خرجوا على أمير المؤمنين علي رضي الله عنه حين جرى أمر الحكمين... منهم حرقوص بن زهير البجلي المعروف بذي النديّة... (657/37) وهم الذين أولهم ذو الخويصرة وآخرهم ذو النديّة...⁽⁶²⁾ .

-
- ثم يبين أن الحديث عندنا (الإباضية) في علماء السوء وفي كل من خالف عمله كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم. شرح الجامع الصحيح 58/1.
 - كما يمكن أن يحمل على غلاة الخوارج من الأزارقة والصقرية القائلين بشرك أهل الكبائر فإنهم يجتهدون في التحرّز والعبادة لئلا يقعوا في الشرك... وحمله على كل من خالف الحق في عبادته أظهر. السالمي : شرح الجامع الصحيح 59/1.
 - أمّا المحشّي في حاشية الترتيب (الجامع الصحيح) فقد اكتفى بالشرح اللّغوي 55/1. وقد ورد الحديث عند الربيع بن حبيب : الجامع الصحيح 12/1 عدد 36.
 - وقد أخرجه البخاري في باب من ترك قتال الخوارج للتألف. ر. ابن حجر : فتح الباري. القاهرة 1348 هـ 244-246.
 - وقد أورد المعجم المفهرس أنه ورد في مسلم 3 : 1.
 - هذا هو موقف الإباضية من القصة والحديث قد جاء في غاية الوضوح.⁽⁶²⁾ ن.م : 133-134.

كما أنه يزيد حسب رأيه تسميتين أخريين لهؤلاء :
 الشراة. المارقين. ويتجلى هذا في قوله : " ومخالفة الخوارج
 (لعلّي)، وحمله على التحكيم "⁽⁶³⁾. وفي قوله : " وكذلك
 الخلاف بينه (عليّ) وبين الشراة المارقين بالنهروان عقدا
 وقولا ". " ونصب القتال معه فعلا ظاهرا معروفاً، وبالجملة
 كان عليّ رضي الله عنه مع الحق، والحق معه، وظهر في
 زمانه الخوارج عليه... "⁽⁶⁴⁾.

هذا ما جاء في كتاب الملل في المقدمات. ثم إن
 الشهرستاني لا يضيف شيئاً عن التسمية والألقاب عندما تحدّث
 عن الخوارج تفصيلاً سوى الإلحاح على فكرة المروق من
 الدين. يقول : " إعلم أن أول من خرج على أمير المؤمنين
 رضي الله عنه جماعة ممن كان معه في حرب صفّين،
 وأشدّهم خروجاً عليه ومروقاً من الدين الأشعث بن قيس
 الكندي و... "⁽⁶⁵⁾.

⁽⁶³⁾ ن.م : 35/1.

⁽⁶⁴⁾ ن.م : 36/1.

⁽⁶⁵⁾ ن.م : 132/1.

- الأشعث بن قيس بن معدي كرب الكندي (أبو محمد) (23 ق هـ -
 600/40-661) أمير كندة في الجاهلية والإسلام. اعتنق الإسلام =

كما يذكر في موطن آخر : " وهم المارقة الذين اجتمعوا بالنهروان، وكبار الفرق، منهم : المحكّمة، والأزارقة، والنجدات، والبيهسيّة، والعجاردة، والثعالبة، والإباضيّة، والصقريّة، والباقون فرعهم "(66).

فالأساس عند الشّهري أنّ الخروج لم يبق خروجاً سياسياً، وإنّما صار خروجاً عن الدين ومروقاً منه، لذلك يستحيل على من أسندت إليهم هذه التسمية أن يقبلوها، وإنّما يعتبرونها من باب الألقاب.

والأشعري نفسه ينبّه إلى هذا فيقول : " وللخوارج ألقاب : فمن ألقابهم الوصف لهم بأنّهم خوارج. ومن ألقابهم الحروريّة، ومن ألقابهم الشّراة، والحرارية (?) ومن ألقابهم

بين يدي الرّسول عليه السلام. شهد اليرموك فأصيب عينه. امتنع عن تأديّة الزكاة مع بعض قومه فهزمهم والي أبي بكر على حضرموت وأتى به إلى أبي بكر ليرى فيه رأيه فأطلقه وزوجه أخته أم فروة فأقام في المدينة وشهد الوقائع وأبلى البلاء الحسن. ثمّ كان مع سعد بن أبي وقاص في حروب العراق. ولمّا آل الأمر إلى علي كان الأشعث معه يوم صفين، على راية كندة. وحضر معه وقعة النهروان. وورد المدائن، ثمّ عاد إلى الكوفة فتوفّي فيها إثر اتفاق الحسن ومعاوية. ر. الزركلي : الأعلام 332/1.

(66) ن.م : 133/1.

المارقة، وهم يرضون بهذه الألقاب كلّها إلا بالمارقة فإنّهم ينكرون أن يكونوا مارقة من الدين كما يَمِرُق السهم من الرمية. والسبب الذي سمّوا له خوارج خروجهم على علي بن أبي طالب، والذي له سمّوا حرورية نزولهم بحروراء في أول أمرهم. والذي له سمّوا شراة قولهم : شرينا أنفسنا في طاعة الله، أي بعناها بالجنة " (67).

وإذا علمنا أن هذه الطائفة أقامت سلسلة من الثورات المتواصلة ضدّ الحكم الأموي فلا شكّ أنّ هذه الدولة إلى جانب الفتك بهم عسكريا اعتمدت على حروب نفسيّة من أسسها تلقيب هؤلاء الناس بألقاب تبعد عنهم من يرغب في الانتصار لهم. وواضح أنّ موقف الشّهريستاني، رغم أنّه ذكر في مقدّماته أنّه يورد الأحداث كما هي : " وشرطي على نفسي أن أورد مذهب كلّ فرقة على ما وجدته في كتبهم، من غير تعصّب لهم... " (68)، بدا منحازا بصفة صريحة حيث يقول : " وبالجملّة كان علي

(67) الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلّين، تحقيق محمد محي الدّين عبد الحميد. مكتبة النهضة المصريّة. القاهرة. ط2. 1969/1389. ج1/602-607.

(68) الملل. 22/1.

رضي الله عنه مع الحق، والحق معه ⁽⁶⁹⁾ وليس من حقنا أن ننتقد الشَّهرستاني لأنَّه له أن يقف الموقف الذي يريد لولا أنَّه اشترط على نفسه أن يتحدَّث عن الفرق عن موقف محايد : " دون أن أبين صحيحه من فاسده، وأعين حقه من باطله " ⁽⁷⁰⁾ .

وإذا رجعنا إلى مصادر هذه الطائفة لا نجد منها الآن إلا ما بقي عند الإباضية الذين اعتبرهم الشَّهرستاني واحدة من فرق الخوارج، بينما تلاشت مصادر الفرق الأخرى مع الزَّمن ولا نجد الحديث عنهم إلا من خلال كتب خصومهم لذلك سنعتمد موقف الإباضية في انتظار أن يكشف التَّاريخ عن بعض مصادر الفرق الأخرى.

إن من كتبوا في الفرق وعلم الكلام من الإباضية يرفضون رفضاً باتاً تلقيبهم بالخوارج على أساس أن هذه الكلمة غلب عليها مدلول الخروج من الدِّين، كما يرفضون هذه الكلمة بمدلولها السِّيَاسي لأنَّهم يعتبرون أنَّهم لم يخرجوا عن الإمام علي وإنما هو الذي تخلى عن بيعته الشرعية بتفويض الأمر إلى الحكمين، ولذلك قد استتابوه قبل أن يبايعوا عبد الله

⁽⁶⁹⁾ ن.م : 36/1.

⁽⁷⁰⁾ ن.م : 22/1.

ابن وهب الرسبي، فلما لم يقبل التوبة حسب مفهومهم أي لم يرجع إلى بيعته الأولى صاروا في حل من أنفسهم.

ثم يقولون لمن يتهمهم بالخارجية كان أولى أن تسمى جماعة طلحة والزبير خوارج لأنهم خرجوا فعلا عن إمامة شرعية، وأولى أيضا أن يسمى معاوية وجماعته خوارج لأنه شق عصا الطاعة برفضه التخلي عن ولاية الشام رغم صدور أوامر الخليفة الشرعي بذلك، وهم بهذه الطريقة يقبلون اللقب على من وجهه إليهم.

أما كلمة المارقة فلا شك أنها وضعت إشارة إلى الحديث المذكور آنفا. ولا شك أن في هذا تجاوزا لمستوى النبز باللقاب إلى مستوى الإخراج من الملة والتفكير، وظاهرة الحرب النفسية واضحة هنا دون أن تحتاج إلى تأويل.

أما التسميات التي تتبناها هذه الطائفة، وهي لا تخلو من شحنة عاطفية، فهي :

جماعة المؤمنين لأنهم يرون أنهم حافظوا على الإيمان عقيدة وقولا وعملا بخلاف المرجئة الذين يكتفون بالقلب، ويفصلون القلب عن العمل، ومن هذه صفته لن يكون إلا الفرقة الناجية من النار.

المحكمة : كما يقبلون تسميات نسبت إليهم كما يذكر الأشعري. **المحكمة :** إشارة إلى قولهم لا حكم إلا لله، ويقصدون من خلال هذه الإشارة ألا سبيل إلى إيقاف الحرب في معركة صفين لأن عملية رفع المصاحف خدعة، لا كما أولتها المجموعات الأخرى بأنها كلمة حق أريد بها باطل. ومعلوم أنه لا يطلع على مواطن الإرادة إلا الله.

الشرأة : كما يقبلون تسميتهم بالشرأة جمع شار على أساس أنهم باعوا أنفسهم في سبيل الله.

الحرورية أهل النهروان : وتتضاف إلى هذا تسميتان فيهما إشارة موقعين نزلت فيهما هذه الجماعة. الموقع الأول: حروراء مكان قرب الكوفة ومنه الحرورية أو أهل حروراء. الموقع الثاني: النهروان قرب بغداد وهو المكان الذي بايعوا فيه عبد الله بن وهب الراسبي، وبه اشتهرت واقعة النهروان التي كاد علي أن يستأصلهم فيها، ومن هذا الموقع عرفوا بأهل النهروان.

ولسنا ندري لم غفل الشهرستاني عن إثارة هذه القضية رغم أنها جاءت صريحة عند شيخه أبي الحسن الأشعري في مقالاته كما أوردنا النص قبل حين.

4- القدرية : يقول الشهرستاني إن هذا اللقب يسند إلى من عرفوا بأصحاب العدل والتوحيد : " ويسمّون أصحاب العدل والتوحيد ويلقبون بالقدرية ".

كما يسند الشهرستاني لقبين آخرين إلى هذه الفرقة : **المعتزلة، والمعتلة** : " ولما كانت المعتزلة ينفون الصفات والسلف يثبتون سمّي السلف صفاتية والمعتزلة معطلة " (71). أمّا المعتزلة فلاعتزال شيخهم واصل بن عطاء (784/131) **حلقة الحسن البصري (728/110)** و يقال لهم **الواصلية**، واعتزالهم يدور على... " (72). كما يلقبهم الشهرستاني بلقب آخر اعتمادا على قولهم بعدم خلف الوعيد وهو **الوعيدية**.

(71) ن.م : 104/1.

(72) ن.م : 60/1.

- **واصل بن عطاء الغزال (أبو حنيفة) (80-181/700-748) : من** موالي بني ضبة من أو بني مخزوم، رأس المعتزلة ومن أئمة البلغاء والمتكلمين. ولد بالمدينة ونشأ بالبصرة. ولم يكن غزّالاً، وإنما لقب به لتردده على سوق الغزالين بالبصرة، لقب أصحابه بالمعتزلة لاعتزاله حلقة درس الحسن البصري. ومنهم طائفة تنسب إليه " الواصلية ". وهو الذي نشر مذهب الاعتزال في الآفاق. بعث من أصحابه عبد الله بن الحارث إلى المغرب، وحفص بن سالم إلى خراسان، والقاسم إلى اليمن، وأيوب إلى الجزيرة،

والمتمأمل في مصادر هذه الفرقة يجد أنّها اختارت لنفسها تسمية جذّابة فمن يكره أن يكون من أهل العدل والتّوحيد، ومن صفته هذه لن يكون إلاّ الفرقة النّاجية. ونحن نعلم أنّه كان لهذه الطائفة فضل كبير على الفكر الإسلامي عامّة وذلك بجرأتها على إعمال العقل، وقد كلّفتها هذه الجرأة مثل هذه الألقاب، فهم قدريّة إشارة إلى الحديث : " القدريّة مجوس هذه الأمّة " وإلى الحديث : " القدريّة خصماء الله في القدر "(73).

وذلك لأن هذه الطائفة ألحّت على حرّية الإنسان إلحاحاً كبيراً إلى حدّ أنّها نزعّت عن الله تعالى خلق الشرّ تنزيهاً له وجعلته من خصائص الإنسان، هذا بالنسبة إلى اللّقب الأوّل، أمّا اللّقب الثّاني وهو المعطّلة، فقد تردّد علماء الكلام كثيراً في شأن صفات الله تعالى هل هي صفات فعليّة يوصف بها الله

والحسن بن ذكوان إلى الكوفة، وعثمان الطويل إلى أرمينية. له تصانيف منها : « أصناف المرجئة ». و « المنزلة بين المنزلتين » و « معاني القرآن »... ر. الزركلي : الأعلام 108/8-109. (73) ن.م : 56/1.

حديث " القدرية مجوس... " انظر ما سبق، ص 57 تعليق 39.
- حديث " القدرية خصماء " لم يرد في المعجم المفهرس.

تعالى دون أن يكون لها كيان في الوجود، وقد اختارت هذه الطائفة المفهوم الثاني على أساس التنزيه فرماها الطرف الآخر بالتعطيل معنى ذلك بالكفر.

أما لقب الاعتزال فمتفق على أنه يرجع إلى اعتزال واصل بن عطاء حلقة شيخه الحسن البصري وفيه ضرب من التّهجين والاحتقار، ولم تر هذه الفرقة في ما نعلم حرجا من هذا اللقب لأنها تعتبر أن الحسن البصري من أقطابها وإن اختلف مع تلميذه في قضية المنزلة بين المنزلتين.

بقي لقب الوعديّة ويلقب به المحكّمة أيضا على أساس قولهم بأن الله عادل، فكما أنه لا يخلف وعده لا يمكن أن يخلف وعيده، وهذا ركن من أركان الفكر الاعتزالي يبنى عليه القول بخلود من مات على كبيرة، دون أن يتوب منها، في جهنم.

وخلاصة القول إن الشّهْرستاني رغم تحريه، ورغم انتباهه إلى التمييز بين التسميات والألقاب فإنه قد انحاز انحيازاً واضحاً لفرقته والتّمسّ لتطوّر تسمياتها عديداً من المبررات، بينما لم يحاول أن يفهم منطق الفرق الأخرى من داخل منظوماتها، ولذلك اعتبر أن فرقته هي الفرقة المقياس، فما

وافق عند الفرق الأخرى ما قال به الأشاعرة فهو الصواب وما لم يوافق ما جاء عندهم فيشار إليه بالألقاب، وهذا خطأ، ولم يكن الشهرستاني بدعا في هذا بل واكب من سبقوه من أمثال الملطي* (988/377) والأشعري.

وبقي أن نشير إلى أن الشهرستاني وقع بصفة عامّة في خطأ منهجي بالنسبة إلى التسميات والألقاب إذ أطلقها على أصحابها قبل أن توجد الفرق بصورة جليّة⁽⁷⁴⁾، وكان أولى

* محمد بن أحمد بن عبد الرحمان أبو الحسن الملطي العسقلاني (987/337) : قال عنه ابن الجزري : « نزيل عسقلان فقيه، مقرئ، متقن ثقة ». عالم بالقراءات، من فقهاء الشافعية. من أهل " ملطية ". نزل بعسقلان وتوفي بها. له تصانيف في الفقه وغيره، منها « التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع » ط. حققه زاهد حسن الكوثري وقدم له ط بيروت 1949/1368. وله " قصيدة " في 59 بيتا، عارض بها قصيدة لموسى بن عبيد الله الخاقاني، في وصف القراءة والقراء. ر. الزركلي : الأعلام 311/5. ومقمة الطبعة المذكورة لكتاب " التنبيه والرد ".

⁽⁷⁴⁾ نقصد من خلال هذه الملاحظة أنه كان أولى بالشهرستاني وإن كانت الأسماء متداولة بين الناس، ألا يستعملها من البداية عند الحديث عن بذور هذه الفرق، وذلك تماشيا مع منطلق الأحداث ليكون أقرب إلى الموضوعية التي ألزم بها نفسه. فيحسن مثلا في البداية عند الحديث عن الشيعة أن نقول أنصار الإمام علي أو ما شابه ذلك إلى أن =

وخاصّة في المقدمات أن يشير إلى التيارات بصفة مجردة
ليصل إلى مرحلة تبلور التسميات حيث صارت من المسلّمات
التي اتفق عليها الناس واتفقت عليها كتب الفرق.

يتبلور المصطلح، ذاك أن هذا المصطلح لم يتبلور إلا فيما بعد، وكذا
بالنسبة إلى بقية الفرق.

الخاتمة

من خلال إجاباتنا عن التساؤلين المطروحين في المقدمة يمكن أن نسجل بعض السمات التي يتميز بها الشهرستاني في كتاب الملل والنحل :

- 1 - إمام شاسع ودقيق بخصائص المدرسة الأشعرية والعوامل التي جعلتها تملأ الساحة الإسلامية في عدة مواطن.
- 2 - سيطرة عقلية واضحة على مختلف الأحداث التي ولدت الفرق الإسلامية على تشعب هذه الأحداث.
- 3 - قدرة واضحة على عرض هذه الأحداث عرضاً مختصراً غير مخل فكان في ذلك عند وعده.
- 4 - منهجية واضحة في ما يوحى بذكر عوامل النشأة رغم تشابك هذه العوامل، مع وعي تام بتقديم العامل الأصولي والعامل السياسي على غيرهما.

5 - قدرة واضحة على حسن التصرف في المنقول عن مختلف المصادر دون الوقوع في محاكاته، بل استغنى حتى عن الإحالة عليه وهذا ليس بالأمر الهين.

لكن هذه الميزات لا تمنع من أن نذكر بعض ما في عمله هذا من نقائص، نعلم أنه يصعب تجاوزها في ذلك العصر خاصة، وفي مثل هذه البحوث العقديّة التي يعسر فيها بل يستحيل على الإنسان أن يتخلّى عن قناعاته الذاتية وعن مناصرة المدرسة التي ينتمي إليها. بل إن ذلك يعدّ من الحسنات آنذاك في مثل هذا الفن، ولنا في ما يجري في المناظرات الكلاميّة من أحجيات أحياناً أقوى دليل على ذلك. وما هذه المؤلفات إلّا ضرب من المناظرات الهادئة، التي يعتبر فيها المؤلّف أن فرقتة هي الناجية وبقية الفرق هلكى.

1 - الانحياز المطلق إلى المدرسة الأشعرية.

2 - اعتبار هذه المدرسة مقياساً، فما جاء عند بقية الفرق مخالفاً للأشاعرة يعتبر من الباطل.

3 - اختيار أحسن الأسماء لهذه المدرسة : إنهم أهل السنّة و الجماعة.

4 - السّكوت المطلق عن المطاعن التي وجّهت لهذه المدرسة حتّى من باب دحضها.

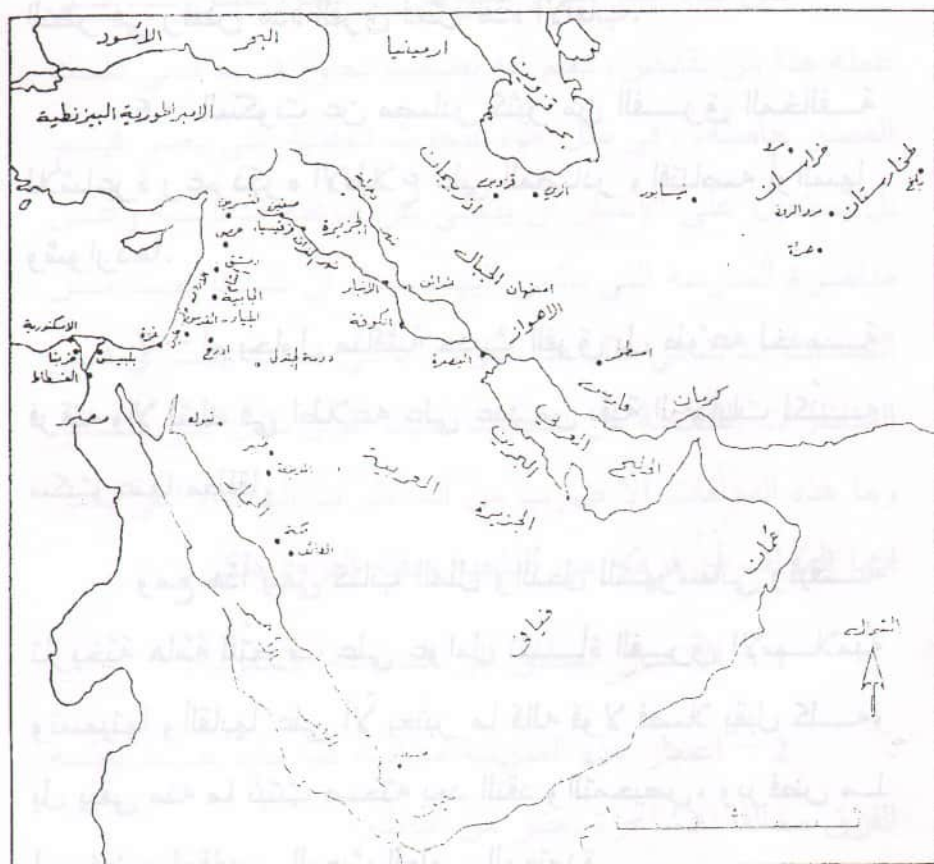
5 - نبز بقيّة الفرق الأخرى بالألقاب دون محاولة النّظر في رفض هذه الفرق لمثل هذه الألقاب.

6 - السّكوت عن مصادر كثير من الفرق المخالفة للأشاعرة رغم ذكره الاطلاع على المصادر واقتناصه أو انسها وشواردها.

7 - لم يحاول مناقشة حديث الفرق بل طوّعه لخدمة فرقته ولا نشك في اطلاعه على عدد من بقية الروايات لكنّه سكت عنها مطلقا.

ومع هذا يبقى كتاب الملل والنحل للشّهريّ وثيقة تاريخيّة هامّة للتّعرف على عوامل نشأة الفرق الإسلاميّة وتسميتها وألقابها على ألاّ يعتبر ما قاله قولا فصلا يقبل كله، بل يبقى منه ما ثبتت صحّته بعد النّقد والتّمحيص، ويرفض ما لم يخضع لمقاييس البحث العلمي المعتمدة.

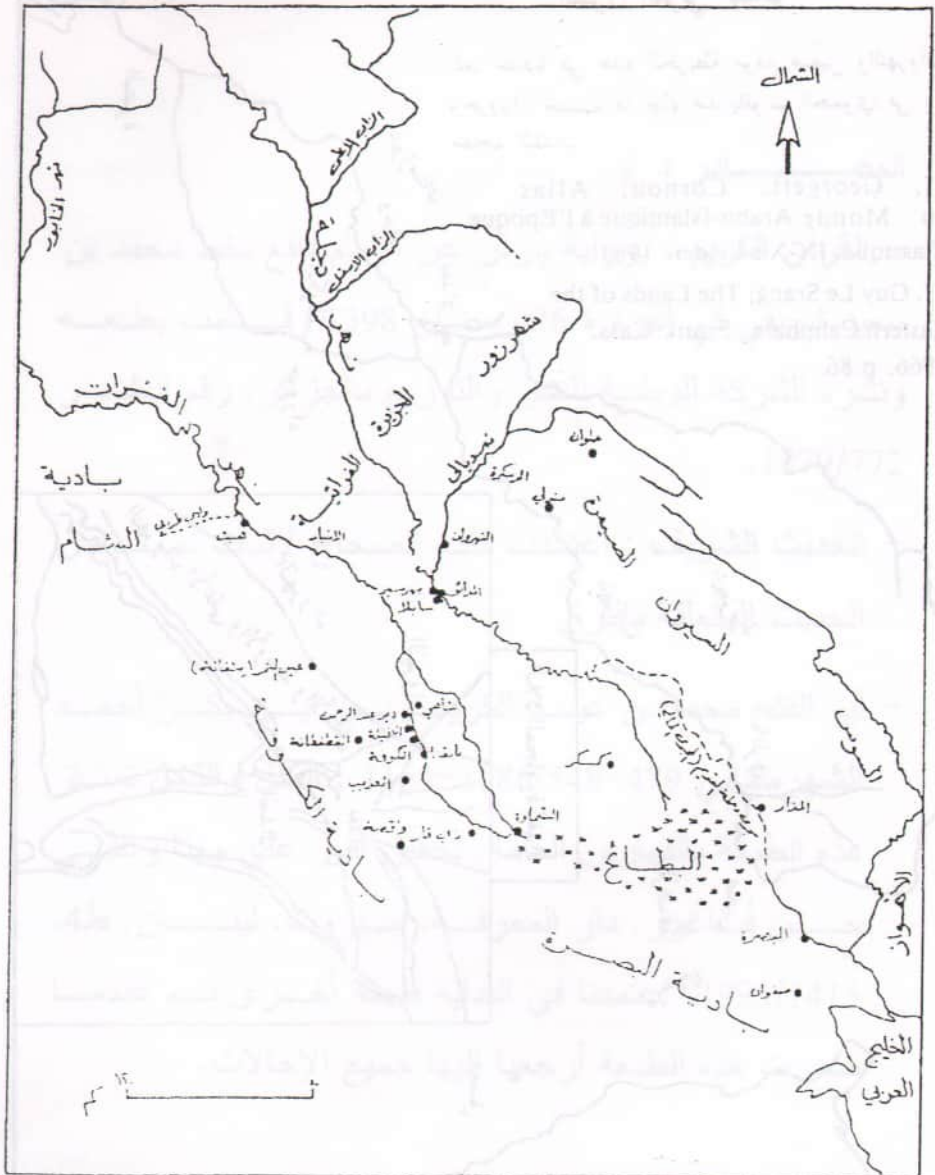
خارطة (١): الدولة الإسلامية في زمن الفتنة



عن حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام
هاري وهارارد، أطلس التاريخ الإسلامي
مشاهير جعيط، الفتنة

جمال جودة، العرب والأرض في العراق في صدر الإسلام

خارطة (٢): العراق في زمن الفتنة



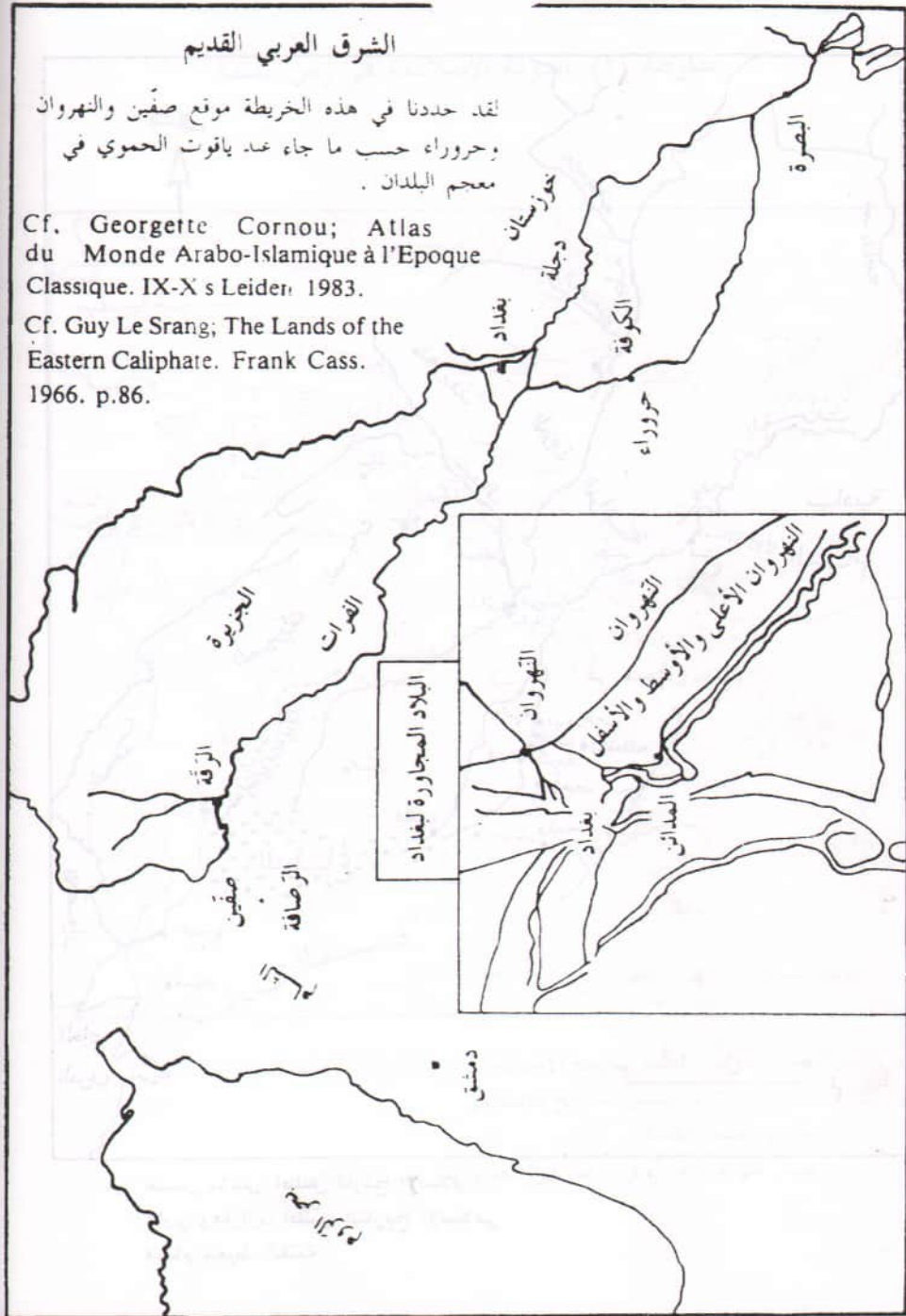
عن حسين مؤنس، أطلس تاريخ الإسلام
هاري وهازارد، أطلس القاريخ الإسلامي
مشام جعيط، الفتنة

الشرق العربي القديم

لقد حددنا في هذه الخريطة موقع صفين والنهروان وحروراء حسب ما جاء عند ياقوت الحموي في معجم البلدان .

Cf. Georgette Cornou; Atlas du Monde Arabo-Islamique à l'Epoque Classique. IX-X s Leiden, 1983.

Cf. Guy Le Ssang; The Lands of the Eastern Caliphate. Frank Cass. 1966. p.86.



المصادر والمراجع

المصادر :

- القرآن الكريم : برواية ورش عن الإمام نافع بخط محمد بن سعيد شريفي في القرارة 26 رمضان 1398 وقامت بطبعه ونشره الشركة الوطنية للنشر والتوزيع بالجزائر. رقم النشر 1979/772.

- الحديث الشريف : اعتمدت كتب الصحاح لإثبات نصوص الحديث المتعلقة بالفرق.

- أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني 479-548/1086-1153 : الملل والنحل تمتلئ هذه الطبعة بالفهارس العامة. تحقيق أمير علي مهنا وعلي حسن فاغور. دار المعرفة. بيروت. لبنان. ط4. 1995/1415. اعتمدنا في البداية طبعة أخرى ثم عندما صدرت هذه الطبعة أرجعنا إليها جميع الإحالات.

المراجع :

- ابن أبي ستة (عمر بن يحيى) (17/11) :
المجموع المعول لما عليه السلف الأول. خ بالبارونية.
جربة. به 62 ص 17 سطرًا (16/15) صم. - د.ت.
- ابن جميع (أبو حفص عمر) (14/8) :
مقدمة التوحيد وشروحها لأحمد الشماخي وداود التلاتي،
صححها وعلق عليها أبو اسحاق ابراهيم اطفيش. - ط 1
القاهرة 1353 هـ، 120 ص. إعادة طبعه ط 2 خليفة
الشيواني بطرح تحقيق ابراهيم اطفيش، ط 2. دار الفتح لبنان
1973/1392. 167 ص.
- ابن حسن (بلقاسم) (معاصر) :
آراء أبي منصور الماتريدي الكلامية : رسالة مقدمة لقسم
الكلام والتصوف بالكلية الزيتونية للحصول على دكتوراه
الحلقة الثالثة بإشراف د. علي الشابي. السنة 1402/1982،
مرقونة بمكتبة الكلية الزيتونية. 426 صفحة الحجم الكبير.
20 سطرًا بالصفحة.

- ابن حزم (1064/456) :
 الفصل في الملل والأهواء والنحل. مطبعة التمدن. نشو دار
 الفكر. 1903/1321.
- ابن خلدون (عبد الرحمان) (1406/808) :
 المقدمة وكتاب العبر، ط بيروت 1967.
- ابن خلفون (أبو يعقوب يوسف) (12/6) :
 أجوبة ابن خلفون، تحقيق وتعليق د. عمر خليفة النامي- دار
 الفتح للطباعة والنشر بيروت. ط1. 1394/1974. 128ص.
- ابن سلام (لؤاب) (بعد 887/273) :
 كتاب فيه بدء الإسلام وشرائع الدين. تحقيق الشيخ سالم بن
 يعقوب وقيرز سفارتز. دار صادر بيروت 1986/1406.
- ابن عبد السلام (جعفر بن محمد) :
 إبانة المناهج في نصيحة الخوارج. خ ضمن مجموع بدار
 الكتاب الوطنية بالقاهرة رقم 25499 ب من ورقة 154-
 169، نسخ عبد الله الحراني 1341 ومنه نسخت المخطوطة
 التي بين أيدينا. الناسخ سيد حسن عثماوي 1982. 58 ص
 بكل منها 15 سطرا، 25 X 15 صم.

- ابن يوسف (سليمان بن داود) (معاصر) :

الخوارج هم أنصار الإمام علي كرم الله وجهه. الطبعة الأولى. 1983/1403. دار البعث للطباعة والنشر، قسنطينة، الجزائر. 234 ص.

- أبو زهرة محمد (معاصر) :

تاريخ المذاهب الإسلامية. جزآن. ط دار الفكر العربي. د.ت.

- أبو عمرو عثمان بن خليفة المارغني السوفي (12/6):

. كتاب السؤالات. خط مغربي واضح : العناوين الهامة باللون الأحمر 277 ص. 10.5/17 صم. عدد السطور بالصفحة : 24، تم على يد ناسخه لنفسه ولمن شاء الله بعده: عبد الله بن سليمان بن يحيى بن عيسى النفوسي، وقع الفراغ منه يوم السابع من شوال سنة 1770/1184 وهو بمجلد مع رسائل وكتب أخرى، مصور عندي من مكتبة الهادي بوشداخ. فاتو. جربة.

. رسالة مختصرة في الفرق الإباضية ط الجزائر د.ت ص53-70

- أبو عمار عبد الكافي (قبل 1174/570 م) :

كتاب الموجز في الكلام، حققه د. عمار الطالبي بعنوان:
« آراء الخوارج الكلامية » (انظر عمار الطالبي). يبدأ من ص
255 بالجزء الأول، وينتهي في آخر الجزء الثاني ص 308.

- أبو مهدي عيسى بن اسماعيل (1564/971) :

الرد على البهلولي. - طبعة حجرية بالمطبعة العلمية
بالحاضرة تونس 1321. ضمن مجموع بعنوان : الرد على
العقبي. لامحمد اطفيش من ص 106-187.

- أبو اليقظان إبراهيم (1973/1393) :

دفع شبه الباطل عن الإباضية الوهبية المحققة. مقال مخطوط
بالقرارة. 1966/1386 به 8 صفحات من الحجم الكبير
15/28، 28 سطرا. يرد فيه على 3 أسئلة : (1) هل الإباضية
الوهبية من الخوارج ؟ (2) هل الإباضية الوهبية من القتل
السفاحين لدماء أهل التوحيد ومن المعتدين عليهم ؟ (3) من
هم رؤوس الخوارج في ذلك العهد ؟

- الاسفراييني (أبو المظفر) (1078/471) :

التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين.
تحقيق كمال يوسف الحوت. مركز الخدمات والأبحاث
الثقافية. عالم الكتب ط 1. 1983/1403. بيروت.

- إسماعيل (محمود) (معاصر) :
الخوارج في المغرب الإسلامي، بيروت، دار الدعوة 1976.
336 ص.
- الأشعري (أبو الحسن) (942/330) :
. الإبانة عن أصول الديانة. حققه وخرّج أحاديثه عبد القادر
الأرناؤوط، مكتبة دار البيان. دمشق. بيروت ط 1.
1981/1401.
- . كتاب اللّمع في الردّ على أهل البدع. تحقيق د. حمّودة
غرابية. نشر مكتبة الخانجي. القاهرة. 1955.
- . مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محيى
الدين عبد الحميد. ط 2 مكتبة النهضة المصرية.
1969/1389. - ج 1 : 351 ص ج 2 : 280 ص.
- اطفيش (محمد بن يوسف) (1914/1332) :
إزالة الاعتراض على محقّي أهل إياض. ط حجرية 1314هـ.
- بكير (سعيد أعوش) (معاصر) :
دراسات إسلامية في الأصول الإباضية، مطبعة البعث،
قسنطينة، الجزائر ط 1 1982/1402، 160 ص.

- البرادي (أبو القاسم بن إبراهيم) (14/8) :
- رسالة الحقائق-حجرية ضمن مجموع. الجزائر. د.ت من 33-55
- البغدادي (عبد القاهر) (1037/429) :
- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية منهم، منشورات دار الآفاق الجديدة، ط بيروت 1980/1400. 335 صفحة.
- البلخي (أبو القاسم) (931/319)، القاضي عبد الجبار (1024/415)، والحاكم الجشمي (1101/494) :
- فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة، حققها فؤاد سيد. الدار التونسية للنشر تونس 1974/1393. 451 ص.
- بيّوض إبراهيم (1981/1401) :
- الإباضية ليسوا خوارج، ضمن أجوبة وفتاوى. نشر دار الدّعوة، نالوت ليبيا 1971/1390 من ص 37-53.
- الجّعيري (فرحات) :
- البعد الحضاري للعقيدة الإباضية. مطبعة الألوان الحديثة. سلطنة عمان. نشر جامعة السلطان قابوس 1987/1408.

- جولد تسيهر (اجناس) (1921/1340) :

العقيدة والشرعية في الإسلام، تاريخ التطور العقدي والتشريعي في الدين الاسلامي. 407ص. - نقله الى العربية وعلق عليه د. محمد يوسف موسى ود. علي حسن عبد القادر، عبد العزيز عبد الحق. - الطبعة 2 : 1959/1378. الناشر : دار الكتب الحديثة بمصر، ومكتبة المثنى ببغداد.

- حسن (ابراهيم) :

تاريخ الإسلام السياسي والثقافي والديني والاجتماعي ج 1 ط بيروت 1980.

- د. خليفات (عوض) (معاصر) :

نشأة الحركة الاباضية. - نشر بتعزید من اتحاد المؤرخين العرب 1978. مطابع دار الشعب. عمان. الاردن. 226ص.

- الدرجيني (أحمد بن سعيد) (أبو العباس) (1271/670) :

طبقات المشائخ بالمغرب. حققه ابراهيم طلاي. مطبعة البعث قسنطينة الجزائر د.ت جزآن.

- الربيع بن حبيب (حوالي 786/170) :

الجامع الصحيح مسند الامام الربيع بن حبيب، حققه أبو إسحاق إبراهيم أطفيش على ترتيب الشيخ أبي يعقوب يوسف بن إبراهيم الوارجلاني. ط2 القاهرة 1349 هـ.-
المطبعة السلفية ومكتبتها، مجلد واحد يحتوي على 4 اجزاء
ج 1 : 80 ص، ج 2: 78، ج 3 : 34 ص، ج 4 : 40 ص.

- السالمي (عبد الله) (1914/1332) :

. مشارق أنوار العقول، صححه وعلق عليه مفتي سلطنة عمان أحمد بن حمد الخليلي، ط2 مطابع العقيدة، سلطنة عمان 1978/1398. - 467 ص.

. شرح الجامع الصحيح. - ط 2. المطابع العالمية، سلطنة عمان د. ت 3 أجزاء ج 1 : 354 ص، ج 2 : 400 ص. ط 1
الجزء الثالث صححه وعلق عليه عز الدين التنوخي.
يحتوي على 644 ص. - المطبعة العمومية دمشق
1963/1383.

- السيّابي (سالم بن محمود) (معاصر) :

اصدق المناهج في تمييز الإباضية من الخوارج، شرح سيدة اسماعيل كاشف. - ط. مطابع سجل العرب 1979، نشر
وزارة التراث، عمان، به 65 ص.

- د. الشابي (علي) (معاصر) :
- كتاب مباحث في علم الكلام والفلسفة، توزيع دار بوسلامة للطباعة والنشر والتوزيع. تونس، ط1. 1977. 248 ص.
- الشابي (علي)، أبو لبابة حسين، وعبد المجيد النجار (معاصرون) :
- المعتزلة بين الفكر والعمل. - طبع بمصنع الكتاب للشركة التونسية للتوزيع 1979. 194 ص.
- شلبي (أحمد) (معاصر) :
- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية ج1. ط6 القاهرة. 1974. 476 ص.
- الشماخي (أبو العباس أحمد) (1522/928) :
- كتاب السير. ط حجريته، القاهرة. 1301 هـ. 600 صفحة.
- الطالب (د. عمار) (معاصر) :
- آراء الخوارج الكلامية، تحقيق كتاب الموجز لأبي عمار عبد الكافي. - نشر الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.

الجزائر. 1978/1398. مطابع الشروق. بيروت. القاهرة. -
ج 1: 436 ص، ج 2 : 308 ص.

- الطالب (د. محمد) (معاصر) :

- دراسات في تاريخ افريقية وفي الحضارة الإسلامية في
العصر الوسيط. كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتونس،
السلسلة الرابعة تاريخ. المطبعة الرسمية للجمهورية
التونسية. 1982. 1248 ص.

- الطبري (923/310) :

تاريخ الأمم والملوك. دار المعارف، القاهرة 1939/1358.

- عبد الناظر (محسن) (معاصر) :

مسألة الإمامة والوضع في الحديث عن الفرق الإسلامية.
الدار العربية للكتاب. 1983. 578 ص.

- الماتريدي (944/333) :

شرح الفقه الأكبر للإمام أبي حنيفة النعمان بن ثابت. عني
بطبعه ومراجعته عبد الله بن إبراهيم الانصاري. منشورات
المكتبة العصرية، صيدا بيروت. 1321هـ - 440 ص

- محمد عبده (1905/1323) :

رسالة التوحيد، تحقيق السيد محمد رشيد رضا ط15، دار
المنار. مصر. 1372. 208 ص.

- معمر (علي يحيى) (1980/1401) :

الإباضية بين الفرق الإسلامية عند كتاب المقالات في القديم
والحديث 494 صفحة. مطابع سجل العرب. ط1.
1976/1396.

- المهدي المرتضى (922/340) :

المنية والأمل في شرح الملل والنحل.

- المَلْطِي (محمد بن أحمد) (987/377) :

التنبيه والردّ على أهل الأهواء والبدع. قدّم له وعلّق عليه
محمد زاهد الكوثري. 1968/1388، مكتبة المثنى بغداد
ومكتبة المعارف بيروت. 220 ص.

- الوارجلاني (ابو يعقوب يوسف بن إبراهيم) (1174/570) :

كتاب الدليل لأهل العقول لبಾಗಿ السبيل بنور الدليل، لتحقيق
المذهب الحق بالبرهان الصادق. ج1 ص، ج2 : 111 ص.
من 85 إلى 111 تعلقة في المنطق. كتاب مرج البحرين في
المنطق، بحر الالفاظ في الكلم، وبحر المعاني والحكم-ج3 :

255 ص كتاب الرسائل. - ط 1 حجرية، حجم متوسط.

المطبعة البارونية الكائنة بطولون بمصر سنة 1306 هـ.

ط 2. بعمان نشر وزارة التراث. مجلدان.

ملاحظة :

وإن لم نحل في التعليق على جميع المراجع المذكورة

فإننا لا شك استفدنا منها عند إعداد بحثنا عن العقيدة

الإباضية ولولا ذلك ما تمكنا من إنجاز هذا العمل.

النشريات العربية :

حوليات الجامعة التونسية : العدد 18/1980 : اعتقادات
المعتزلة والقدرية والصفاتية والحشوية وفرقها من كتاب
الكشف والبيان. تأليف أبي سعيد محمد بن سعيد الأزدي
القلهاتي، تحقيق محمد بن عبد الجليل من ص 89 إلى 214.

الكراسات التونسية 1981 عدد 115-116. عمر بن حمادي:
مقال حول حديث « افتراق الأمة إلى بضع وسبعين فرقة ».
ص 287-357.

المراجع العامة والمعاجم العربية

(ترتيب الفبائي)

- ابن منظور (محمد بن مكرم) (799/630).
- لسان العرب، إعداد وتصنيف يوسف خياط، مرتب حسب الألف بائية، قدم له عبد الله العلائي. 4 مجلدات. خصص الرابع للمصطلحات العلمية والفنية، عربي فرنسي انكليزي لاتيني. دار لسان العرب بيروت د.ت.
- خير الدين الزركلي :
الأعلام يحتوي على 58 مجلدات دار العلم للملايين بيروت. ط6. 1984.
- محمد فؤاد عبد الباقي :
المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم. - مطابع الشعب 1978.
- المعجم الوسيط. أشرف على طبعه عبد السلام هارون. - مطبعة مصر. شركة مساهمة مصرية 1960-1961.

- ونسك (1939/1358) :

المعجم المفهرس لالفاظ الحديث النبوي عن الكتب الستة وعن مسند ابن حنبل. ابتدأ ترتيبه وتنظيمه ونشره ا.ب- ونسك وي ب منسج واتبع نشره الاتحاد الأممي للمجامع العلمية. وب دي هاس وي ب فن لون وعات ب دي بروين مع مشاركة محمد فؤاد عبد الباقي 7 أجزاء من سنة 1969/1936.

- ياقوت الحموي (1229/626) :

معجم البلدان : 5 مجلدات. دار صادر للطباعة والنشر ودار بيروت للطباعة والنشر. بيروت 1953/1374.

- دائرة المعارف الإسلامية EI₂. الطبعة الفرنسية.

المراجع الأجنبية

(ترتيب ألفبائي حسب أسماء المؤلفين)

Cuperley Pierre :

- Professions de foi ibadites : contribution à L'étude de L'ibadisme et de sa théologie. Doctorat d'Etat. Université de Paris - IV - Sorbonne. Lettres et Civilisation. Paris 1982

2Tomes : 655p 3^e Tome 208p + 74p. Textes arabes.

Ennami A.K.

Studies in Ibadism. Accompanied by a critical edition of:

1) Section II, part1 of K. Qawâ'id - Islam of Ismâ'il b. Mûsâ al-Jîṭalî.

2) K.'Usul al-Din of Tabghûrîn b. Dâwûd. b'Isâ al-Malshûṭî.

3) 'Ajwibat Ibn K halfûn by 'Abu Ya'qûb Yûsuf b Khalfûn.

A thèse submitted to the university of Cambridge for the degree of Doctor of Philosophy. Fitzwilliam College Cambridge May 1971 430p.

Laoust H.

Les Schismes dans l'Islam, Paris. Payot, 1965.

النشریات الأجنبية :

Békri (Cheikh)

Le Kharijisme berbère, quelques aspects du royaume rustumide, dans A.I.E.O. XV, (1957), 55-108.

Ennami A.K.

A description of new Ibadi manuscripts from North Africa, dans Journal of Semitic, 1970, I, 63-87.

فهرس الآيات القرآنية

حسب ترتيب السور

الآية	رقمها	السورة ورقمها	الصفحة
هو الذي أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب..	7	آل عمران 3	49
ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم	89	آل عمران 3	20
واعتصموا بحبل الله جميعا	103	آل عمران 3	18
ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا	105	آل عمران 3	16
وأن هذا صراطي مستقيما فاتبعوه	153	الأنعام 6	19
إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء	159	الأنعام 6	17
قالوا أرجه وأخاه	111	الأعراف 7	77
وممن خلقنا أمة يهدون بالحق وبه يعدلون	181	الأعراف 7	22
وأطيعوا الله ورسوله	46	الأنفال 8	19
وأن هذه أممكم أمة واحدة	53	المؤمنون 23	20
وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما	9	الحجرات 49	21
يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى	13	الحجرات 49	63
ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون	19	المجادلة 58	20
ألا إن حزب الله هم المفلحون	22	المجادلة 58	20
وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ما جاءتهم البينة ..	4-5	البينة 98	17

فهرس الأحاديث

(ترتيب ألفبائي)

الصفحة	الحديث
25	افتترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة.....
39	الأئمة من قريش
25	إنَّ أهل الكتابين افترقوا.....
26	إنَّ بني إسرائيل افترقوا.....
84	إن لم أعدل فمن يعدل.....
24	تفرقت اليهود.....
64	دعوها إنها منتنة.....
22	ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة.....
25	سيأتي على أمتي ما أتى على بني إسرائيل.....
84	سيخرج من ضئضي هذا الرجل قوم.....
97	القدرية خصماء الله في القدر.....
97	القدرية مجوس هذه الأمة.....
58	المشبهة يهود هذه الأمة.....
22	لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق.....
58	لتسلكن سبل الأمم قبلكم.....
68	نحن معاشر الأنبياء لا نورث.....
19	هذا سبيل الله مستقيما.....

فهرس الأعلام
(ترتيب ألفبائي)

الأعلام	الصفحة
آدم	59-16-15
إبراهيم حسن	63
إبراهيم طلاي	88
إيليس	56-16-15
ابن حزم	57
ابن تميمة	76-44
ابن الجزري	99
ابن الجوزي	57-24
ابن خلدون	44-39
ابن خلكان	13-12
ابن سينا	13
ابن عباس	50
ابن ماجه	57-25-24-23
البخاري	89-88-67-23
أبوبكر الصديق	91-68-67-63-46-40-35-34
أبو الحسن بن حمويه	12
أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري	99-95-92-91-81-80-79-23

78	أبوحنيفة
57-25-23	أبو داود
13-12	أبو الفداء
11	أبو القاسم الأنصاري
87	أبو جهل
34	أبو سفيان
80	أبو علي الجبائي
57	أبو عمر
65	أبو مسلم الخراساني
12	أبو منصور (الإمام)
80	أبو موسى الأشعري
11	أبو نصر القشيري
24	أبو هريرة
78	أبو يوسف
11	أحمد الخوافي
12	أحمد الليثي
81-67-59-39	أحمد بن حنبل
13	أرسطاطاليس
34	أسامة
45	أسامة بن زيد الكلبي
12	أسعد الميهني
91-90	الأشعث بن قيس الكندي

45-44	الأصم
91	أم فروة
24	أنس بن مالك
24	أنس بن مالك
96	أيوب
13-12	البيهقي
25-23	الترمذي
85	ثمود
10	الجبيري (فرحات)
42	جعفر الصادق
57	جعفر بن الحارث
16	جول لابوام
12	حاجي خليفة
24	الحاكم النيسابوري
51	الحجاج
57	حذيفة
89-88-87-85	حرقوص بن زهير السعري
98-96	الحسن البصري
97	الحسن بن نكوان
91-83-82	الحسن بن علي بن أبي طالب
77	الحسن بن محمد
42-41-40	الحسين

88-76	الشماعي
12	شهاب الدين الواعظ
-16-15-12-11-10-9-8-7-6 -38-37-36-35-34-33-23-21 -49-47-46-44-43-41-40-39 -63-62-59-56-55-54-52-50 -77-76-75-70-69-68-67-66 -92-91-90-84-83-81-79-78 101-99-98-96-95-93	الشهرستاني
20-19	الشیطان
59	الصاحب بن عباد
60	صدر الدين الشيرازي
94-77	طلحة
78	طلق بن حبيب
96	عبد الله بن الحارث
44	عبد الله بن الزبير
47-20	عبد الله بن سبأ
11	عبد الله بن ظاهر
44	عبد الله بن عمر
25	عبد الله بن عمرو
19	عبد الله بن مسعود
95-94-85-76-38-36	عبد الله بن وهب الراسبي
51	عبد الملك بن مروان
97-69-63-47-46-35	عثمان

97	عثمان الطويل
-44-42-40-37-36-35-34-24 -83-82-78-76-75-65-47-46 99-93-92-91-90-89-85	علي بن أبي طالب
11	علي بن أحمد المدائني
13	علي حسن فاعور
13	علي مهنا (أمير)
76-57	عمار الطالبي
86-85-69-68-63-46-35	عمر بن الخطاب
29-22	عمر بن حمادي
82	عمر بن عبد العزيز
50	عمران بن حصين
36	عمرو بن العاص
78	عمرو بن ذر
78	عمرو بن مرة
25	عوف بن مالك
51	غيلان الدمشقي
82-67-66-42-40	فاطمة
7	قابوس (السلطان)
96	القاسم
78	قديد بن جعفر
12	كيورتز
59-58-55-11	المأمون

80-23	مالك بن أنس
88-85	المبرد
59-55	المتوكل
78	محارب بن زياد
89	المحشي
17	محمد (صلى الله عليه وسلم)
41	محمد أبو زهرة
78	محمد الطالبي
78	محمد بن الحسن
44	محمد بن مسلمة الأنصاري
18	محمد رشيد رضا
18	محمد عبده
16	محمد فؤاد عبد الباقي
92	محمد محي الدين عبد الحميد
69-37	مروان بن الحكم
67-23	مسلم
-82-79-77-76-39-37-36-25 94-91-83	معاوية بن أبي سفيان
50	معبد الجهني
58	المعتصم
78	مقاتل بن سليمان
99	الملطي

40	المهدي المرتضى
60	المهدي المنتظر
13	موسى (الرسول)
99	موسى الخاقاني
45-43	نجدة بن عامر (الحروري)
67-23	النسائي
58	هارون
76	هانئ الأرحبي
85	الهرمزان
59	الوائق
98-96-41	واصل بن عطاء
78-3	ونسك
67	ياقوت الحموي
12	يوسف

فهرس القبائل والفرق والملل والأجناس

(ترتيب ألفبائي)

الفرقة	الصفحة
الإباضية	93-91-89-88-76-70-38
الأزارقة	91
الأزد	76
الأشعرية	103-102-101-99-83-81-79-64-53-52
آل البيت	64-45-42
الإمامية	82-42
الأنصار	35
أهل (أصحاب) العدل والتوحيد	97-96-75-65-45
أهل الأهواء	48-21
أهل الديانات	48-21
أهل السنة والجماعة	102-83-81-79-64-49-39-28-27
أهل الكتاب	17
أهل النهروان	95-88-38
أهل الوعد	78
أهل حروراء	91-44-38
الأوس	18

48	البراهمة
70-65	البربر
25-24	بنو إسرائيل
79-77-70-69-65-64-63-46-41-39-34	بنو أمية
39	بنو العباس
85	بنو تميم
43	بنو حنيفة
96	بنو ضبة
96	بنو مخزوم
39	بنو مروان
66-34	بنو هاشم
91	البيهسية
91	الثعالبة
80	الجبائية
79-78-64-52-51	الجبرية
94	جماعة المؤمنين
82	الحسينيون
18	الخزرج
-78-77-76-75-53-52-45-44-38-36-9 94-93-92-91-90-89-85-84	الخوارج
48	الذهرية
60	الديالمة

42	الرافضة
36	الزبيريون
87-24	الزنادقة
42-41	الزيدية
47	السيئة
96-83-81-80-79-39	السلف
99	الشافعية
95-91-90	الشرارة
-83-75-61-53-51-47-45-42-41-40-99	الشيعة
87-48	الصابئة
82-81-79-75-64-61-53-51-45-39-9	الصفائية
91-89-70	الصفرية
70	العباسيون
87-48	عبدة الكواكب (الأوثان)
91	العجاردة
69-65	العجم
62	العرب
64	عرب الشام
64	عرب العراق
64	عرب تميم
82-65	العلويون

64	الفرس
97-96-79-78-75-57-53-51-24-9	القدريّة
45-39	قريش
53-52	الكرامية
91-90	كندة
4	الماتريديّة
52	المجسمة
97-87-57-21	المجوس
98-94-91-84-76-70-65-64-45-43-38	المحكمة
97-94-78-77-64-53-51-45	المرجئة (الإرجاء)
-49-48-47-45-38-22-21-20-18-17 82-76-68-63-50	المسلمون
58-57	المشبهة
-79-78-75-60-58-53-52-51-44-39 97-96-80	المعتزلة
97-96-87-80	المعطلة
35	المهاجرون
53	النجارية
91-45-43	النجدات (النجدية)
87-59-57-25-21	النصارى
96	الواصلية
96-79-53-51	الوعيدية (أهل الوعيد)

فهرس الأماكن
(ترتيب أالفبائي)

الصفحة	المكان
43	أرض العرض
97	أرمينية
82	أصبهان
78-69-64	إفريقية
43	البحرين
96-80-76-64-51-50-47	البصرة
95-80-12	بغداد
82	بيت المقدس
99-41-16-13	بيروت
78-10-7	تونس
7	جامعة السلطان قابوس
6	جامعة الوسط
26-8-7	جامعة تونس الأولى
80	جبي
3	جربة
96	الجزيرة
66-47	الحجاز

95-92-44-38	حروراء
3	الحشان (حومة)
91	حضر موت
96-64-11	خراسان
13-12-11	خوارزم
85	خير
51-47	دمشق
33	سقيفة (بني ساعدة)
85	سوق الأهواز
12-11	شهرستان
95-91-90-89-85-75-43-38-36-21	صفين
91-82-76	العراق
99	عسقلان
44-43-4	عمان
6	فدك
92-89-18	القاهرة
6	القيروان
26-8	كلية الآداب منوبة
47-44-41	الكوفة
91	المدائن
96-91-82-66-51	المدينة
65-47	مصر

معهد القضاء (عمان)	7
المغرب	96-88-65-27
مطية	99
النظامية	12
النهر و ان	91-90-88-85-76-38
نيسابور	11
هجر	43
اليرموك	91
اليمامة	43
اليمن	96-47

فهرس الموضوعات

الصفحة	الموضوعات
1	تقديم الأسناذ الطالبى
3	الرموز
5	المقدمة
11	توطئة
15	أ. القرآن الكرىم وقضية الفرق
21	ب- الحديث الشرىف وقضية الافتراق
31	المبحث الأول : نشأة الفرق الإسلامية
33	I - العوامل السىاسية
33	(أ) قضية الإمامة
33	1 - حدث السقىفة
35	2- تمخض الافتراق عن الفتنة
45	ب- قضية تعىىن الولاة
48	II - العوامل الأصولية « العقىة »
56	III - العوامل الثقافية
59	1) اللاهوت اليهودى والمسىحى
60	2) الفلسفة اليونانية
60	3) الفكر الفارسى الغنوصى
61	4) الفكر الهنذى

62	 IV-العوامل الاجتماعية
66	 V-العوامل المالية
73	 المبحث الثاني : قضية تسميات الفرق وألقابها
75	 تمهيد
77	 1- أنصار معاوية
83	 2- جماعة علي
84	 3- المحكمة
96	 4- القدرية
101	 الخاتمة
104	 الخرائط
107	 المصادر والمراجع
107	 المصادر
108	 المراجع
120	 النشريات العربية
121	 المراجع العامة والمعاجم العربية
123	 المراجع الأجنبية
124	 النشريات الأجنبية
125	 فهرس الآيات القرآنية
126	 فهرس الأحاديث
127	 فهرس الأعلام
134	 فهرس القبائل والفرق والملل والأجناس
136	 فهرس الأماكن
142	 فهرس الموضوعات

ISBN 9973 - 31 - 471 - 9